المحـور الثامـن

التَّاريخ والشخصيَّات الإسلاميَّة

غير مرخصة للطباعة

١٤١

الدكتور محمَّد عمارة

الحارس اليقظ المرابط على ثغور الإسلام

الإمـام يوسف القرضاوي

نسخة مجانية

من الدستور الإلٰهي للبشرية

﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية

٥

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يشكر الله، من لا يشكر الناس**». رواه أحمد وأبو داود.

عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «**من أتى إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه، فادعوا له، حتى تعلموا أنْ قد كافأتموه**». رواه أحمد وأبو داود.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

(أمَّا بعد)

فهذه هي الصحائف الَّتي كتبتُها في شأن أخي وصديقي العالم الباحث الداعية المناضل الشيخ الدكتور محمَّد عمارة، الَّذي ادَّخره القدر الإلٰهيُّ للدفاع عن هذا الدِّين العظيم، الدِّين الخاتم الَّذي أكرم الله به هذه الأُمَّة، وأتمَّ عليها به النعمة، حين قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فكان عمارةُ هو الحارس المغوار، والفارس المختار، والسيف البتَّار لإرهاب أعداء هذا الدِّين العظيم، دين الإنسانيَّة جميعًا، ودين القرون كلِّها، ودين البشر حينما تظلم عليهم الدنيا، وتلتبس عليها الطُّرُق، ولا يجدون النور والضياء إلَّا في رسالة محمَّد عليه الصلاة والسلام، رسالة الإسلام الأصيلة: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

أُهدي هذه الصحائف إلى قُرَّائي الَّذين أحببتهم وأحبُّوني، ورضيتُهم ورَضُوني، ليقرؤوا بعض ما عرفته عن أخي وأخيهم، وصديقي وصديقهم

QaradawiBooks.com

محمَّد عمارة، أحد أعلام الأُمَّة، وأعمدة فكرها القويم، وحُرَّاس طريقها المستقيم، لعلَّهم يجدون في هذه الصحائف ضالَّتهم الَّتي ينشدون، وغايتهم الَّتي إليها يشتاقون، ليَحْيَوا فترةً من الزمن في الرحاب الفسيح للحبيب محمَّد عمارة، تقبَّل الله عمله، وبارك جهاده، وجزاه خيرًا كثيرًا عن دينه وحضارته وأُمَّته، وجمعَنا وإيَّاه مع الَّذين أنعم الله عليهم من النبيِّين والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقًا.

وشكر الله لأخينا الحبيب الأستاذ صلاح عبد المقصود، على ما قام به من تكريم للدكتور عمارة، ولغيره من العلماء الأعلام.

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

الفقير إليه تعالى

يوسف القرضاوي

الدوحة في ٢٧ صفر ١٤٣٣هـ

٢١ يناير ٢٠١٢م

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

كلمة لا بدَّ منها

لا بدَّ لي في بداية كلامي: أنْ أشــكر لمركز الإعلام العربي، ما سنَّه من سُنَّة حسنة، له أجرها وأجر مَن عمل بها، وهي تكريم الرموز والروَّاد من الإســلاميِّين، الَّذين قدَّموا لدينهم وأمَّتهم ما يستحقُّون أنْ تقول لهم الأُمَّة: شكر الله لكم، وجزاكم خيرًا.

صحيح أنَّ الَّذي يعمل للإســلام يجب أنْ يكــون كلُّ همِّه ومبتغاه رضوان الله ﷻ، لا تكريم الناس، ولا حمدهم له. فإنَّ ذلك إذا دخل في نيَّته أفسد العمل، وحال دون قَبُوله عند الله، حين أشرك رضا الخلق مع رضا الخالق، والله سبحانه ـ كما قال ابن عطاء الله في «حِكَمه» ـ لا يحبُّ العمل المشترك، ولا يحبُّ القلب المشترك، العمل المشترك هو لا يقبله، والقلب المشترك هو لا يُقبل عليه[1].

وفي الحديث القُدسي الصحيح الَّذي رواه مسلم: «**أنا أغنى الشركاء عن الشِّرْك، من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركتُه وشِرْكَه**»[2].

(١) الحكم العطائية شـرح ابن عباد الرندي صـ ٧٨، رقم (٢٠٣)، نشـر مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

(٢) رواه مسلم في الزهد (٢٩٨٥)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com
نسخة مجانية

هذا ما يتعلَّق بنيَّة العالم والمفكِّر والداعية الَّذي يعمل للإسلام، لا بدَّ أنْ يكون خالصًا لله تعالى خُلوصًا تامًّا، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

ولكن كلامي هنا عن الأُمَّة مُمَثَّلة في علمائها ودعاتها ومُفَكِّريها، الَّذين يعرفون أقدار هؤلاء العلماء، الَّذين أناروا الطريق للأُمَّة في دياجير التيه، وحملوا مصابيح الهداية الرَّبَّانيَّة، حيث يريد المُضَلِّلون عن الحقائق، والصادُّون عن سبيل الله، والسائرون في ركاب الشياطين، أنْ يُزيلوا من الطريق كلَّ مَعْلَم هدًى، وأنْ يُطفئوا كلَّ مصباحٍ يضيء، وأنْ يطردوا كلَّ دليلٍ يقول: الطريق من هنا!

واجب الأُمَّة ممثَّلة في مثقَّفيها المستنيرين: أنْ تُعَرِّف جماهيرها ـ وخصوصًا من أجيالها الصاعدة ـ بقيمة هؤلاء الأفذاذ، وبدورهم في مسيرة الإصلاح والتجديد، لتوفِّيهم الأُمَّة حقَّهم ـ أو بعض حقِّهم على الأقلِّ ـ من الشكر لهم أحياءً، والتَّرحُّم عليهم أمواتًا، والإنسان مهما علا شأنه يحبُّ أنْ يقول له الناس: أحسنت. ويشكروا له صنيعه، ولهذا أوصانا الرسول الكريم بذلك حين قال: «**لا يشكر اللهَ من لا يشكر الناس**»[(١)].

وقال: «**من أتى إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه، فادعوا له، حتَّى تعلموا أنْ قد كافأتموه**»[(٢)].

---

(١) رواه أحمد (١٠٣٧٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود في الأدب (٤٨١١)، والترمذي في البر والصلة (١٩٥٤)، وصحَّحه. عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٥٣٦٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأبو داود (١٦٧٢)، والحاكم (٤١٢/١)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي. كلاهما في الزكاة، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

ومن هنا علَّمنا الله سبحانه أنْ نشكر له ﷻ، باعتباره صاحب النعم الكبرى علينا، كنعمة الإيجاد ونعمة الإمداد، كما أوصانا أن نشكر لوالدينا كما نشكر له. قال تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤].

وقال الشاعر:

وَلَوْ كَانَ يَسْتَغْنِي عَنِ الشُّكْرِ مَاجِدٌ لِعِزَّةِ مُلْكٍ أَوْ لِرِفْعَةِ شَانِ
لَمَا أَمَرَ اللهُ الْعِبَادِ بِشُكْرِهِ وَقَالَ: اشْكُرُوا لِي أَيُّهَا الثَّقَلَانِ[1]

لا يترك الأمر لغير أهله، فيدخل في القافلة من ليس منها، ويخرج منها من هو أحقُّ بها وأهلها.

فمن الخطر المخوف أنْ تفقد الأمة حاسَّة التمييز، فتقدِّم من يستحقُّ التأخير، وتؤخِّر من يستحقُّ التقديم، فتختل الموازين، وتضطرب المعايير، ويوضع في موضع القيادة من لا يعرف الغاية، ولا يبصر الطريق، كما قال بشَّار بن بُرد:

أَعْمَى يَقُودُ بَصِيرًا لَا أَبَا لَكُمُ! قَدْ ضَلَّ مَنْ كَانَتِ الْعِمْيَانُ تَهْدِيهِ[2]**!**

ولقد رأيت الإسلاميِّين أقلَّ الناس تكريمًا وتقديرًا بعضهم لبعض، فقلَّما يتحدَّث بعضُهم عن بعض، ويُنوِّه بعضُهم بقدر بعض، ويقتبس

(١) نسبه الثعالبي إلى أبي نواس الحكمي، كما في المنتحل (٨٠/١)، تحقيق الشيخ أحمد أبو علي، نشر المطبعة التجارية عرزوزي وجاويش، الإسكندرية، ١٣١٩هـ ـ ١٩٠١م.
ونسبه ياقوت الحموي للعتابي الشاعر كلثوم بن عمرو، انظر: معجم الأدباء (٢٢٤٤/٥)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

(٢) الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني (١٥٧/٣)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

QaradawiBooks.com

بعضهم من بعض، على حين نرى العِلمانيِّين والماركسيين والليبراليين يُعظِّم بعضهم بعضًا، ويُعلي بعضهم شأن بعض، فإذا أصدر بعضهم كتابًا، أو أنشأ قصيدةً، أو كتب بحثًا أو مقالًا، نجد هذا يكتب عنه في صحيفة، وهذا يوجِّه الأنظار إليه في برنامج تلفزيوني، وهذا يعقد له ندوة في جمعية أو نادٍ، وآخر يحاول أنْ يكتب عنه كتابًا. حتَّى إنَّهم ليجعلون «من الحَبَّة قُبَّة»، و«من القِطِّ جملًا»، كما يقولون، وينطبق عليهم ما قال الشاعر قديمًا:

ذَهَبَ الرِّجَالُ الْمُقْتَدَى بِفِعَالِهِمْ الْمُنْكِرُونَ لِكُلِّ أَمْرٍ مُنْكَرِ
وبَقِيتُ فِي خَلْفٍ يُزَيِّنُ بَعْضُهم بعضًا لِيَدْفَعَ مُعْوِرٍ عَنْ مُعْوِرِ[1]!

على أنَّ الإسلاميِّين كثيرًا ما لا يتحدَّثون عن عظمائهم إلَّا بعد أنْ يفقدوهم، ويُودعوهم الثَّرى، أما وهم أحياء فهم منسيُّون، إلَّا من رحم ربُّك، وقليلٌ ما هم.

أمَّا مركز الإعلام العربي، وعلى رأسه الأخ القائد النابه المُتَفَتِّح المُتحرِّك صلاح عبد المقصود، فقد أبى إلَّا أن يُكرِّم رجال الدعوة وهُداة الأُمَّة وهم أحياء، فجزاه الله خيرًا مرَّتَيْن: مرَّة على التكريم، ومرَّة أخرى على التكريم في حال الحياة.

* * *

(١) من شعر أبي الأسود الدؤلي، كما في ديوانه صنعة أبي سعيد السكري صـ ٣٩٧، تحقيق محمد حسن آل ياسين، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط ٢، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

QaradawiBooks.com

١

من هو محمَّد عمارة؟

هنا نقدِّم شكرنا الجزيل، وتقديرنا الجميل، للقيام بتكريم الأخ الحبيب، الأستاذ الدكتور محمَّد عمارة، حفظه الله، فمن هو هذا العملاق باختصار؟

١ ـ مصريٌّ صميم، ترى ذلك في ملامح وجهه، وفي اتِّجاه عاطفته، وفي أعماق نفسه، وفي واقع حياته.

٢ ـ وقرويٌّ صميم، ابن القرية المصريَّة الأصيلة حقًّا، في شمائلها ومفاهيمها، وقيمها وأخلاقها، قبل أنْ تغزوها المدنيَّة بمفاهيمها وقيمها الجديدة «القرية المفرنجة»، وبعبارة أخرى: هو فلاحٌ أصيل، مثلي.

٣ ـ وشيخٌ صميم، لم تستطع كلُّ المؤثِّرات ـ ومنها التأثُّر بالفكر الماركسي فترة من الزمن ـ أنْ تخلعه من مشيخته، أو تخلع عنه مشيخته، وإنْ خلع العمامة حين دخل دار العلوم.

٤ ـ وعربيٌّ صميم، فهو لا يرى أيَّ تعارض بين المصريَّة والعروبة، بعد أن تعرَّبت مصر لحمًا ودمًا ولسانًا، وعقلًا وثقافة، وغدت قبلة الثقافة العربيَّة، وهو يقترب من العروبة أكثر من غيره، بما درس في الأزهر ودار العلوم، من علوم العربيَّة وآدابها، حتَّى أمسى من كبار كُتَّاب العربيَّة وخطبائها.

QaradawiBooks.com

٥ ـ ومسلمٌ صميم، وهذا المقوِّم هو الَّذي يُتوِّج هذه المقوِّمات كلِّها، ويمزج بينها، ويقودها في اتِّجاه واحد، ولا يجد أيَّ تعارض بين المصريَّة والعروبة، ولا بين العروبة والإسلام، وقد كان عضو اللجنة التحضيريَّة، الَّتي وضعت الورقة الأساسيَّة لمُمَثِّلي الاتِّجاه الإسلامي، في الاجتماع الأوَّل للمؤتمر التأسيسي القومي الإسلامي، وكان فيها معه: «محمد العوَّا، وفهمي هويدي، وطارق البشري، ويوسف القرضاوي».

مُرَشَّح الأُمَّة لا مُرَشَّح الدولة:

حين أخبرني الأخ الحبيب الأستاذ صلاح عبد المقصود أنَّهم يريدون أنْ يُكرِّموا الدكتور عمارة، كما كرَّموا من قبل الدكتور حسن الشافعي حفظه الله، والدكتور أحمد العسَّال رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قلتُ: لقد أحسنتم في اختيار هذه الشخصيَّة الفذَّة للتكريم والاحتفاء، بعد أنْ تجاهلتها الجهات الرسميَّة، فلم تُعطها حقَّها، ولم تقبل إعطاءه جائزة الدولة التقديريَّة، وقد رشَّحته لها عِدَّة جهات. ومع اعتراف الكثيرين من العلماء والأدباء والمُفَكِّرين، بأنَّه كُفء مؤهَّل لها منذ سنين، بعطائه الموصول، وإنتاجه الوفير والأصيل، وباعتراف الفضلاء الكثيرين، وأنَّه أمثل من كثيرين حصلوا عليها وهم دونه!

ولم يرشَّح لجائزة الملك فيصل، لا في الدراسات الإسلاميَّة، ولا في خدمة الإسلام، وقد أصبح هو في مصر ـ بعد رحيل شيخنا الغزالي ـ المدافع الأوَّل عن الإسلام ضدَّ خصومه في الداخل والخارج، وأضحى قلمه عليهم كسيف خالد بن الوليد.

QaradawiBooks.com

وكيف وقد ألَّف مَنْ ألَّف فيه الكتب الَّتي تعدُّه مارقًا من الإسلام، كما يمرق السهم من الرَّمِيَّة، كما ألَّفوا من قبل في الشيخ الغزالي، وفيَّ وآخرين؟!

ولم يُرَشَّح لجائزة دُبَي الدوليَّة للقرآن الكريم: شخصيَّة العام الإسلاميَّة، وقد رُشِّح لها من ليس له مثل عطائه الماثل للعيان، في آفاق العالَم العربيِّ والإسلاميِّ كلِّه.

على كلِّ حال، أرى أنَّ هذه الجوائز تسمو به إذا حصل عليها، ولا يسمو بها، فقد جاز الرجل القنطرة، كما يقول المُحَدِّثون. ولكنَّنا نحن نلوم أنفسنا حين لا نقول للمُحْسِن: أحسنتَ. وللمُبْدِع: أبدعتَ!

على أنَّ ما قصَّرت فيه الجهات الرسميَّة، قد عوَّضته الجهات الشعبيَّة، أو قل: رشَّحته الأُمَّة الكبرى، الَّتي استقبلت فيض مؤلَّفاته بالترحيب والاعتناء، وهي ليست قليلة؛ بل هي حوالي مائة وثمانين، أو تزيد، أكثرها تأليف، وبعضها تحقيق لكتبٍ مُهِمَّة من التراث، ولمجموعة أعمال بعض العمالقة المُحْدَثين، مثل الشيخ رفاعة الطهطاوي، والشيخ جمال الدين الأفغاني، والأستاذ عبد الرحمن الكواكبي، والأستاذ علي مبارك، والإمام محمَّد عبده.

كما أنَّ الأُمَّة كلَّها تهرع إلى محاضراته حيثما كانت، وتُنصت إلى برامجه في القنوات العربيَّة المختلفة.

أيَّ مجال أختار؟

والحقيقة أنِّي وقفتُ مُتحيِّرًا، حينما أردت أنْ أكتب عن محمَّد عمارة: أيَّ مجالٍ أختار لأكتب فيه؟

QaradawiBooks.com

أأكتبُ عن محمَّد عمارة: العالم الباحث المنهجي الموضوعي، الَّذي يخدم العلم، ويحترم المنهج، ويُوَفِّي الموضوع حقَّه؟

أم أكتب عن محمَّد عمارة: الداعية الغيور، الَّذي يقف بالمرصاد لكلِّ خصوم الإسلام، ويكشف عَوَارهم، ويهتك أسرارهم؟

أم أكتب عن محمَّد عمارة: الكاتب المُفكِّر، الَّذي أضحى يملك رؤية أصيلة مُثمرة لرسالة الإسلام، ودعوة الإسلام، وحضارة الإسلام، مُتَمَيِّزة بأهدافها ومفاهيمها، مُتميِّزة بمُقَوِّماتها وخصائصها، مُتَمَيِّزة بمنجزاتها وآرائها، ملتزمًا المنهجَ الوسطي التكاملي، الَّذي يجمع بين المثاليَّة والواقعيَّة، والربَّانيَّة والإنسانيَّة، والأصالة والمعاصرة.

أم أكتب عن شخصيَّة محمَّد عمارة: المتكاملة المتوازنة، والَّتي نراه فيها يحمل عقلية الفيلسوف، وقلب الصوفي، وانضباط الفقيه، وحماس الداعية، ورقَّة الأديب، وعزيمة المقاتل.

ثمَّ هناك مجالات فرعيَّة كثيرة: أأتحدَّث عن محمَّد عمارة وفهمه للقرآن الكريم؟

أم عن عمارة ووعيه للسُّنة النبويَّة؟

أم عن محمَّد عمارة وموقفه من الفقه الإسلامي؟

أم محمَّد عمارة، وموقفه من الفرق الإسلاميَّة، وخصوصًا المعتزلة وعلم الكلام؟

أم محمَّد عمارة، وصلته بالتاريخ الإسلامي الحافل، وبالحضارة الإسلاميَّة الشامخة؟

غير مرخص للطباعة

أم محمَّد عمارة، ومعرفته بالواقع المَعِيش، ومدى تكييفه له، أو تشخيصه لأمراضه ووصفاته العلاجية لها؟

أم محمَّد عمارة، وموقفه من خصوم الإسلام، وأعداء الصحوة الإسلاميَّة، والأمة الإسلاميَّة، ومن يكيدون لها، ويتربَّصون بها، ويتقوون بأعدائها؟

المجال خصب، وهو كما قال العرب: من أخصب تحيَّر. ولكن كثيرًا ما تؤدِّي كثرة التميُّز إلى شدِّة التحيُّر.

ولكنِّي سرعان ما اخترت المجال الأقرب، الَّذي لا يحتاج إلى إجهاد الذهن، ولا إعمال الفكر كثيرًا، فمادَّتُه حاضرة، وأمثلته كثيرة، وهو مجال الدعوة، ولا سيَّما «المجال الدفاعي» عن الإسلام، وقد أصبح عمارة فيه الفارس المعلم والعلم المفرد. فحديثي عن «محمد عمارة الحارس اليقظ المرابط على ثغور الإسلام». وهذا العنوان مقتبس من كلامه نفسه.

وأعتقد أنَّه قد حمل اللواء بعد الشيخ الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، مرابطًا على ثغور الفكر الإسلامي، وأمسى البطل المغوار، والسيف البتَّار، لكلِّ من يحاربون الإسلام، سرًّا أو علانية، بالقول أو بالفعل: من الأجانب عنَّا، أو بني جلدتنا.

مؤهلاته أو أسلحته لخوض المعركة:

والمعركة الَّتي خاضها ـ ويخوضها ـ الأستاذ الدكتور محمَّد عمارة معركة واسعة النطاق، متعدِّدة الآفاق، وأطرافها كثيرون متشعِّبون، بعضُهم في الخارج، وبعضهم في الداخل، بعضهم ديني، وبعضهم علماني، وبعضهم مادِّي ملحد، بعضهم يعملون لأنفسهم، وبعضهم يعملون

QaradawiBooks.com

لحساب غيرهم، بعضهم مكشوفون، وبعضهم مستورون، بعضهم يحاربون جهرة، وبعضهم خفية، ممَّن يتبعون سياسة وخز الإبر وتسميم الآبار، ودسِّ السُّمِّ في العسل، وهم مختلفون فيما بينهم اختلافًا كبيرًا وشديدًا، ولكنَّهم متَّفقون على عداوة الإسلام، ومن يدافع عن الإسلام، أو يدعو إلى الإسلام.

ويحتاجون ممَّن يواجههم: أنْ يعاملهم بمثل ما يعاملوننا به: السيف بالسيف، والرمح بالرمح، وأنْ يمكر بهم كما يمكرون هم بنا، وأنْ يستخدم أسلوب الكرِّ والفرِّ.

والدكتور عمارة مؤهَّل لمواجهتهم بكلِّ الأسلحة المطلوبة، بما لم يتأهَّل به غيره:

فهو مؤهَّل بما لديه من تكوين شرعي وأدبي، وفلسفي وكلامي وتاريخي.

وهو مؤهَّل بما لديه من لُغة وأدب ومنطق وثقافة، وأسلوبٍ بيانيٍّ معاصر.

وهو مؤهَّل بما لديه من معرفة بالواقع الَّذي يحياه الناس ويمارسونه، فهو لا يعيش في برج عاجيٍّ أو صومعة منعزلة، إنَّه يعيش في الميدان، في قلب المعركة.

وهو مؤهَّل بما لديه من شغف بالقراءة في مختلف الثقافات، فهو يقرأ في القديم ويقرأ في الحديث، وهو يقرأ للمسلمين ويقرأ لغير المسلمين، وهو يقرأ في الشرع، ويقرأ في الأدب، ويقرأ في التاريخ، ويقرأ في العلم، ويقرأ في الفلسفة، ويقرأ في السياسة، والاقتصاد والتربية والفنون وغيرها.

QaradawiBooks.com

وله حاسة يقظة، يلتقط بها كلَّ ما ينفعه في معركته الواسعة مع مختلف الخصوم، من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار وما بينهما.

المهم هنا: أنَّ محمَّد عمارة لم يكن أسلوبه مع هؤلاء المخاصمين للإسلام، أسلوب الاعتذار أو الدفاع، لا كأولئك الَّذين يعتبرون الإسلام في قفص الاتهام، وأعظم تُهَمِه أنَّه لم يوافق الغرب في إباحة الرِّبا، أو إشاعة الفاحشة، أو الدعوة إلى الخمر والميسر، إلخ. وعليهم أنْ يدافعوا عن هذا المتَّهم، ويعتذروا عنه بدفوعٍ مُتَكَلَّفة، واعتذاراتٍ واهية.

أمَّا محمَّد عمارة فقد اتخذ أسلوب المواجهة، وإنْ شئت قلت: أسلوب الهجوم. كما قيل: إنَّ خير وسائل الدفاع هي الهجوم. وكان بفضل الله نِعْم المُوَاجه، ونعم المهاجم!

كان لا بدَّ له من حملة من المواجهات الجريئة في الحقِّ، المقاوِمة للباطل، الآمرة بالمعروف، الناهية عن المنكر، الداعية إلى الخير، الرافضة للشر. وهو يقف مطاردًا لأفكار هؤلاء، سواء كانوا عربًا أو عجمًا، مسلمين أو غير مسلمين. حسْبه أنَّه يحارب فيهم الباطل الَّذي يحملونه ويروِّجونه ويدعون إليه.

* * *

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة

٢

في مواجهة التعصب الطائفي

من الثغور الَّتي رابط عليها د. عمارة: الوقوف في وجه إثارة الفتنة الطائفيَّة، ومواجهة التعصُّب الطائفي، ولا سيَّما في مصر، بين المسلمين والأقباط، الَّذي يُغَذِّيه الاستعمار والتنصير، والَّذي يقوم عليه نفرٌ من المتعصِّبين، الَّذين أعمى التعصُّب المقيت بصائرهم، وأفقدهم الإنصاف في رؤية الواقع، وقراءة التاريخ، وأمسَوا يستوحون مفاهيمهم وقيمهم من خارج أرضنا، ومن غير قومنا، وممَّن لا يُكِنُّون لنا ولا لأمَّتنا وأوطاننا أيَّ خير. فغدا جماعة من الأقباط ينظرون إلى إخوانهم ومواطنيهم من المسلمين على أنَّهم أعداؤهم، ومن هنا يستقوون بالأجانب عليهم، وأصبح المسلم المصري ـ الجار والمواطن والعشير التاريخي ـ هو مصدر الخطر والعداوة والبغضاء، وأصبح الأجنبي الغريب المستعمر الدخيل هو القريب والولي والنصير، الَّذي يستعان به، ويلاذ بجنابه، ويؤخذ بمشورته في العلن، وبإيحائه في السرِّ، لمعاداة المسلمين.

لقد رفض د. عمارة هذا التوجُّه الخبيث المشوَّه، كما رفضه العقلاء والواعون، والحكماء المنصفون من إخواننا الأقباط أنفسهم، واستعان د.عمارة على ذلك بما لديه من معلومات موثَّقة، مستمدَّة من مصادر

QaradawiBooks.com

علميَّة، ومؤسسة على الأرقام والتواريخ، ليبيِّن ـ بالحقِّ لا بالباطل، وبالعدل لا بالتحيُّز ـ أنَّ الأقباط لم يظلموا يومًا في ظلِّ الحكم الإسلامي، إلَّا إذا ظلم المسلمون معهم، أو أشد منهم.

بل وجدنا المسلمين في كثير من الأحيان، يشكون من ظلم الأمراء والحكام المسلمين لهم، وإعلاء كلمة اليهود والنصارى عليهم، حتَّى جهروا بالشكوى من ذلك إلى الله وإلى الناس.

ظهر ذلك في أقوال علمائهم، وشعر شعرائهم. من ذلك ما قاله العلَّامة الشيخ الدَّرْدِير (ت: ١٢٠١هـ) رأس المالكية، وشيخ علماء مصر في عصره، وذلك في شرحه الصغير على «أقرب المسالك»: «وزاد أمراء الزمان أنْ أعزُّوهم، وعلى المسلمين رفعوهم، ويا ليت المسلمين عندهم كمعشار أهل الذِّمَّة، وترى المسلمين كثيرًا ما يقولون: ليت الأمراء يضربون علينا الجزية كالنصارى واليهود، ويتركونا بعد ذلك كما تركوهم. ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]»[(١)].

وما قاله أحد الشعراء المصريِّين الساخرين:

يهودُ هذا الزمانِ قد بلغوا ... غايةَ آمالِهم وقد مَلَكُوا
الْعِزُّ فيهم والمالُ عِنْدَهمو ... ومِنْهُمُ المستشارُ والمَلِكُ
يَا أَهْلَ مصرَ، إنِّي نصحتُ لكم ... تَهَوَّدوا، قد تهَوَّد الفَلَكُ[(٢)]!

(١) الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك للعلَّامة أحمد الدردير (٣١٥/٢)، نشر دار المعارف، مصر، ١٣٩٢هـ.

(٢) هو الشاعر المصري الحسن بن خاقان. وقد ذكره آدم متز في: الحضارة الإسلامية (١١٨/١)، ترجمة الأستاذ محمد عبد الهادي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٤، ١٩٦٧م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

موقف الإسلام من أهل الكتاب ومن النصارى:

جاء الإسلام لتحسين العلاقة بين الله وخلقه، ثمَّ تحسين العلاقة بين الناس بعضهم وبعض، ولو كانوا مخالفين للمسلمين في دينهم، ما داموا مسالمين لهم، لم يقاتلوهم في الدين، ولم يخرجوهم من ديارهم، كما قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

ولكنَّ الإسلام خصَّ أهل الكتاب من اليهود والنصارى بمعاملة متميِّزة تفضلهم عن غيرهم، فشرع مؤاكلتهم ومصاهرتهم، كما قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾ [المائدة: ٥]، وهذا قمة في التسامح مع المخالف في الدِّين لم تسمح به أكثر الأديان.

ولكنَّ القرآنَ أفرد النصارى بمَزِيَّة، فجعلهم أقرب مَوَدَّة للمسلمين من اليهود الَّذين أعلنوا شدَّة عداوتهم للرسول والمسلمين، فقال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾ [المائدة: ٨٢].

وصايا نبويَّة بأقباط مصر خاصَّة:

وزاد الإسلام على ذلك: الوصيَّة بأقباط مصر خاصَّة، فقد أوصى بهم رسول الله ﷺ وصيةً خاصَّة، يعيها عقل كلِّ مسلم، ويضعها في السُّوَيْداء من قلبه.

فقد روت أمُّ المؤمنين أمُّ سَلَمة رضي الله عنها: أنَّ رسولَ الله ﷺ، أوصى عند

QaradawiBooks.com

وفاته فقال: «**اللهَ اللهَ في قِبطِ مصر، فإنَّكم ستظهرون عليهم، ويكونون لكم عُدَّةً وأعوانًا في سبيل الله**»[١].

وفي حديث آخر: عن أبي عبد الرحمٰن الحُبُلِيِّ عبد الله بن يزيد، وعمرو بن حُرَيْث، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**فاستوصوا بهم خيرًا، فإنَّهم قوَّة لكم، وبلاغٌ إلى عدوِّكم بإذن الله**»[٢]. يعني قبط مصر.

وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**إنَّكم ستفتحون أرضًا يُذْكَر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيرًا، فإنَّ لهم ذمَّةً ورحمًا**». وفي رواية: «**إنَّكم ستفتحون مصر، وهي أرضٌ يُسمَّى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإنَّ لهم ذمَّةً ورحمًا**». أو قال: «**ذمَّةً وصهرًا**»[٣]. والقيراط: جزءٌ من أجزاء الدرهم والدينار وغيرهما، وكان أهل مصر يُكثرون من استعماله والتكلُّم به، بل هم لا يزالون كذلك بالنسبة للمساحة والصَّاغة وغيرها، وكلُّ شيءٍ قابلٌ لأنْ يُقسم إلى (٢٤) قيراطًا.

قال العلماء: الرَّحِم الَّتي لهم: كون هاجر أم إسماعيل عليه السلام منهم، والصِّهر: كون مارية أمِّ إبراهيم ابن رسول الله ﷺ منهم. ولا غرو أن ذكر الإمام النووي هذا الحديث في كتابه «رياض الصالحين» في باب: «برُّ الوالدين وصلة الأرحام» إشارة إلى هذه الرَّحِم الَّتي أمر الله ورسوله بها أن توصل بين المسلمين وبين أهل مصر، حتَّى قبل أنْ يسلموا[٤].

---

(١) رواه الطبراني (٢٦٥/٢٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٦٧٨): رجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه أبو يعلى (١٤٧٣)، وابن حبان في التاريخ (٦٦٧٧)، وقال الأرناؤوط: رجاله ثقات رجال الصحيح إلَّا أنه مرسل. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٦٨١): رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح.

(٣) رواه مسلم في فضائل الصحابة (٢٥٤٣)، وأحمد (٢١٥٢٠)، عن أبي ذر.

(٤) رياض الصالحين: حديث (٣٢٨)، تحقيق شعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

QaradawiBooks.com

وعن كعب بن مالك الأنصاري قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إذا فُتِحَتْ مصر فاستوصوا بالقِبْطِ خيرًا، فإنَّ لهم دمًا ورحمًا**». وفي رواية: «**إنَّ لهم ذمَّةً ورَحِمًا**»[1]، يعني أنَّ أمَّ إسماعيل منهم. والرسول يجعل للقِبْط هنا من الحقوق أكثر ممَّا لغيرهم، فلهم الذمَّة: أي عهد الله ورسوله وعهد جماعة المسلمين، وهو عهد جدير أن يُرعى ويُصان، ولهم رحم ودم وقرابة، ليست لغيرهم.

وقد صدَّق الواقع التاريخي ما نبَّأ به الرسول ﷺ، فقد رحَّب الأقباط بالمسلمين الفاتحين، وفتحوا لهم صدورهم، رغم أنَّ الرُّوم الَّذين كانوا يحكمونهم كانوا نصارى مثلهم، وإن كانوا على غير مذهبهم، ودخل الأقباط في دِين الله أفواجًا، حتَّى إنَّ بعض ولاة بني أُمَيَّة فرض الجزية على من أسلم منهم، لكثرة من اعتنق الإسلام[2]. وكانت مصر بوابة الإسلام إلى إفريقيا كلِّها، وغدا أهلها عُدَّةً وأعوانًا في سبيل الله.

محمَّد عمارة العدوُّ الأوَّل للمتعصِّبين:

لقد أصبح المُتَعَصِّبون من الأقباط في مصر، يعتبرون محمَّد عمارة ـ ومثله محمَّد العوَّا، وفهمي هويدي ـ خصمهم الأول، وينتهزون أيَّة فرصةٍ لتصويب سهامهم إلى صدره، ويتصيَّدون أيَّة شبهة ليتَّخذوا منها حبلًا ليشنقوه به، «وينفخون في الحبَّة، ليجعلوها قُبَّة» كما يقول المثل.

---

(١) رواه الطبراني (٦١/١٩)، والحاكم في التواريخ (٥٥٣/٢)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٦٧٩)، وقال: رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح. قال الزهري: الرحم: أن أم إسماعيل منهم، والروايتين عند الطبراني، وعند الحاكم: «ذمَّة ورحمًا».

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (١٤٧/٥)، تحقيق مجموعة بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

QaradawiBooks.com

ويُضَخِّمون الشيء التافه ليجعلوا منه مسألةً تُبْدِئُ فيها الصحف والمنابر الإعلاميَّة وتُعيد، فـإذا لم يجدوا شُـبهة ولو واهية، اسـتحلُّوا الافتراء والتزييف، ليُمعنوا في التضليل والتهويل.

ومن ذلك ما وقع عندما نشر الدكتور عمارة كتابه أو رسالته عن «فتنة التكفير عند الوهَّابيَّة والصوفيَّة والشِّيعة»، وكان يتوقَّع أنْ تثور عليه هذه الطوائف الثلاث، الَّتي حكم عليها بأنَّها تُكفِّـر غيرها، ولم يكن مُجرَّد دعوى، بل أثبتها بالأدلَّة الناصعة الَّتي لا مطعن فيها.

ولكنَّ الغريب أنَّ الضجة الهائلة الَّتي قامت لم تكن من هذه الفئات، بل كانت من الأقباط، من أجل نقطة نقلها الدكتور عمارة ضمن ما نقله من كلام الإمـام أبي حامد الغزالي عـن اليهود والنصـارى، وعلماؤنا يقولون: ناقل الكفر ليس بكافرٍ. ومن كان ناقلًا، فكلُّ ما يُطلب منه إثباتُ صحَّة نقله، أمَّا مَن كان مدعيًا فالمطلوب منه الدليل على إثباتها.

ولقد تبيَّن لكلِّ المُراقبين والدارسين، كما بيَّن الدكتور عمارة نفسه بكلِّ وضوح: السبب الحقيقي وراء هذه الضجَّة المفتعلة الَّتي قامت، ولم تكد تهدأ. إنَّه موقفه العتيد والعنيـد من الغلوِّ والتعصُّب الَّذي يثيره قوم لا يرجون لله وقـارًا، ولا يبغون للوطـن انتصارًا، ولا للأُمَّة اسـتمرارًا، ولا للدولة ازدهارًا.

قال د. عمارة بالمكشـوف: «فمنذ أكثر من خمسـة عشر عامًا نبَّهت ـ بل وفضحت ـ المخطط (الطائفي، العنصـري، الانعزالي) الَّذي تبلور في مصر، بعـد الحرب العالميـة الجديدة، فـي موازاة لنشـأة الكيان الصهيوني على أرض فلسطين، واسـتجابةً لدعوة المستشرق الصهيوني «برنارد لويس» في مجلة «البنتاجون» إلى إعادة تفتيت العالم الإسلامي،

QaradawiBooks.com

من باكستان إلى المغرب، وإنشاء أكثر من ثلاثين كيانًا سياسيًّا جديدًا في الشرق الإسلامي، على أسس دينيَّة وعرقيَّة ولُغويَّة ومذهبيَّة، ليتحوَّل العالم الإسلامي إلى «فسيفساء وَرَقِيَّة» تنشغل بنزاعاتها الداخليَّة، وبذلك يتحقَّق، كما قال «برنارد لويس»: الأمن الإسرائيلي!

قال عمارة: وفي إطار المشروع الفكري ـ الَّذي توفَّرت على إنجازه ـ كشفت عن الوجه القبيح للطَّائفيَّة العنصريَّة الانعزاليَّة الَّتي تبلورت في إطار الأرثوذكسيَّة المصريَّة، والَّتي تمثَّلت ـ ضمن ما تمثَّلت ـ في:

دعوة «جماعة الأُمَّة القبطيَّة» ـ الَّتي تكوَّنت بمصر ـ في أوَّل شهر توت ـ عيد رأس السنة الفرعونيَّة! وعيد الشهداء عند الأرثوذكس المصريِّين! (١١) سبتمبر سنة (١٩٥٢م)، وهي الجماعة الَّتي استقطبت خلال عامٍ واحد (٩٢٠٠٠) من شباب الأرثوذكس.

والَّتي أعلنت: «أنَّ الأقباط يُشكِّلون أُمَّة، ويطلبون حذف النصِّ الدستوريِّ على أنَّ الإسلام دين الدولة! وأنَّ اللغة العربيَّة هي لُغتها! وأنْ يكون الدستور مصريًّا، لا عربيًّا ولا إسلاميًّا»!

كما أعلنت هذه الجماعة: «أنَّ مصر كلَّها أرضنا، الَّتي سلبت منَّا بواسطة العرب المسلمين منذ أربعة عشر قرنًا، وأنَّنا سلالة الفراعنة، وديانتنا هي المسيحيَّة، وسيكون دستورنا هو الإنجيل، وتكون لغتنا الرسميَّة هي اللغة القبطيَّة».

وكان لهذه الجماعة ـ الطائفيَّة العنصريَّة ـ عَلَمها وزِيُّها الخاصَّان بها، وكان العلم يُمَثِّل صليبًا ـ هو مفتاح الحياة لتوت عنخ آمون ـ منصوبًا في الإنجيل، كما كان لها نشيد خاصٌّ تُنشده في جميع الاجتماعات

QaradawiBooks.com

والاحتفالات، كما افتتحت في المحافظات مدارس لتعليم اللغة القبطيَّة بالمجَّان»[١]!

فلمَّا اعتقلت حكومة ثورة يوليو عددًا من قيادات هذه الجماعة ـ الَّذين اختطفوا البابا «يوساب الثاني» (١٩٤٦ ـ ١٩٥٦م) بعد رفضه الانضمام إليهم ـ وحلَّت الحكومة هذه الجماعة في (٢٤) إبريل (١٩٥٤م) ـ دخل عددٌ من أركان هذه الجماعة إلى الدَّير في (١٨) يوليو (١٩٥٤م)، ليَصِلوا إلى قيادة الكنيسة في (١٤) نوفمبر (١٩٧١م)، «بالانتخاب» بدلًا من «الانقلاب»! وليُسَخِّروا الكنيسة ـ الَّتي تسعى إلى سلخ مصر عن هُوِيَّتها العربيَّة الإسلاميَّة، والعودة بها أربعة عشر قرنًا إلى الوراء[٢]!

قال عمارة: نعم، لقد توفَّرت ـ في مشروعي الفكري، ربَّما أكثر من غيري ـ على فضح هذا المخطط الطائفي ـ العُنصري ـ الانعزالي، الَّذي يسعى إلى تفتيت مصر.. مصر الَّتي قالت عنها «إستراتيجيَّة إسرائيل في الثمانينيَّات» من القرن العشرين: إذا تفتَّتت مصر تفتَّت الباقون!

وفي فضح هذا المُخَطَّط ـ وبصراحة لا تخشى في الحقِّ لومة لائم ـ أصدر د. عمارة ضمن ـ مشروعه الفكري ـ الدراسات والكتب الآتية:

١ ـ «أكذوبة الاضطهاد الديني في مصر».

٢ ـ «في المسألة القبطيَّة، حقائق وأوهام».

٣ ـ «الإسلام والأقليَّات: الماضي والحاضر والمستقبل».

---

(١) الأقباط عبر التاريخ للدكتور سليم نجيب صـ ١٨٤، ١٨٥، القاهرة، ٢٠٠٠م.

(٢) راجع في تفصيل ذلك كتاب د. عمارة: هذا بلاغ للناس الفتنة الطائفية: متى، وكيف، ولماذا، وانظر كذلك: الحديث الضافي للدكتور عمارة الذي نشرته مجلة المنار الجديد، عدد (٣٠)، صيف (٢٠٠٧م).

QaradawiBooks.com

٤ ـ «الإسلام والتعدُّديَّة: التنوُّع والاختلاف في إطار الوَحْدة».

٥ ـ «تنوُّع ووَحدة أم تفتيت واختراق؟».

٦ ـ «بروتوكولات قساوسة التنصير».

هذا بالإضافة إلى عشرات الدراسات والمقالات الَّتي نشرها في الصحف والمجلَّات في فضح هذا المخطَّط «الطائفي، العنصري، الانعزالي».

كما أصدر عددًا من الدراسات الَّتي دافع بها عن عقائد الإسلام، في مواجهة الأكاذيب والافتراءات الَّتي توجَّه إليه، ومنها الدراسات الَّتي صدرت باسم «مجمع البحوث الإسلاميَّة» بالأزهر الشريف الَّذي هو أحد أعضائه النَّشِطين، وذلك ردًّا على كتب:

١ ـ «المسيح في الإسلام» للدكتور ميشال الحايك.

٢ ـ «استحالة تحريف الكتاب المقدس» للقمص مرقص خليل عزيز.

٣ ـ «ما هي حتميَّة كفَّارة المسيح؟» للقسّ د. داود رياض أرسانيوس[1].

* * *

(١) انظر: فتنة التكفير بين الشيعة والوهابية والصوفية للدكتور محمد عمارة صـ ١٤ ـ ١٨، نشر دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

QaradawiBooks.com

٣

في مواجهة الغلوِّ العِلماني

ومن الخصوم الَّذين تصدَّى لهم محمَّد عمارة: غلاة العِلمانيِّين، فنحن نعلم أنَّ هناك عِلمانيَّة هادئة، وأخرى هائجة. وبلغة أهل النحو: عِلمانيَّة لازمة، وأخرى متعدِّية، فالعِلمانيَّة الهادئة أو اللازمة لا تتدخَّل في شأن الدين لا إيجابًا ولا سلبًا، لا تؤيِّد الدين ولا تعاديه، بل تقف على الحياد.

ولكن العِلمانيَّة الهائجة أو المُتَعَدِّية، تريد أنْ تطرد الدِّين من الحياة، ومن الحكم، ومن التشريع، ومن التربية، ومن الثقافة، ومن التقاليد، وتحلُّ هي مَحَلَّه، فلا غرو أنْ تصطدم بالدِّين وأنْ يصطدم الدِّين بها.

وللأسف فقد أتاحت وسائل الإعلام صفحاتها وأبواقها، لتلك المشروعات الفكرية المأجورة، الَّتي عمدت إلى طمس معالم هذا الدِّين، واحترف أصحابها الخوض في مُقَدَّسات المسلمين، تحت شعارات «التنوير»، و«التجديد»، و«التحديث».

الخطأ الجوهري للعِلمانيَّة في بلادنا:

هناك خطأٌ أساسي وجوهري للعِلمانيِّين في أوطاننا: أنَّهم أرادوا أنْ يفرضوا على الدِّين في الشرق، ما فُرِض على الدِّين في الغرب، متجاهلين ما بين العِلمانيَّة هناك والعِلمانيَّة هنا، والدِّين هنا، والدين هناك.

QaradawiBooks.com

العِلمانيَّة في الغرب كانت علاجًا لما جلبه دين الكنيسة الغربيَّة من مشكلات في الحياة، فكانت الكنيسة مع الدِّين ضدَّ العلم، ومع الجمود ضدَّ التطوُّر، ومع الرجعيَّة ضدَّ التَّقَدُّم، ومع الملوك ضدَّ الشعوب، ومع الإقطاعيِّين ضدَّ الفلاحين، فثار الناس عليها، وقالوا قولتهم المشهورة: اشنُقوا آخر مَلِكٍ بأمعاءِ آخر قِسِّيس!

ونحن غير هؤلاء القوم في كلِّ شيء، دِينُنا غيرُ دِينِهم، ومسجدُنا غير كنيستهم، وعالِمنا غير قِسِّيسهم، وتاريخُنا غير تاريخهم، فلا ينبغي أنْ يُحَمِّلنا أحدٌ وزر تاريخهم.

إنَّ دينَنا هو سرُّ بقائنا وتميُّزنا، وموئل عزِّنا وفخرنا، ومصدر قوَّتنا وأمجادنا، وحرماننا منه يعني حرماننا من كلِّ خيرٍ أو مجدٍ نَنْشُده ونبتغيه.

إنَّ محمَّد عمارة قد وقف ضدَّ «الغلوِّ الإسلامي» بقوَّة ووضوح، ولكنَّه في مقابل ذلك قد وقف ضدَّ «الغلوِّ العِلماني»، الَّذي كان من أقوى أسباب ظهور «الغُلُوِّ الدِّيني».

وقد تعرَّض للعِلمانيِّين في أكثر من كتاب، وأكثر من مناسبة، ودخل معهم في مناظرات علنيَّة، فهزمهم بإذن الله، وعرَّاهم أمام الجماهير. ولا غرو في ذلك فإنَّ معه الحقَّ، والحقُّ أبلج، والباطل لجلج، ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١].

وكانت مناظرته في معرض الكتاب في القاهرة، مناظرة حافلة مع فرج فودة، ومحمد خلف الله، اللَّذَيْن كانا يُمثِّلان الجانب العِلماني، وكان الشيخ الغزالي وعمارة والمستشار مأمون الهضيبي يُمثِّلون الجانب الإسلامي.

QaradawiBooks.com

سقوط الغُلُوِّ العِلماني:

ومن كتبه في مواجهة العِلمانيَّة: «سقوط الغلوّ العِلماني»، ردًّا على العِلماني المفضوح، المُتَبَجِّح بتطاوله على الإسلام، عقيدةً وشريعةً وأخلاقًا وحضارة وأُمَّة، بل على كتاب الله، وعلى رسول الله نفسه، وهو العشماوي.

والحقُّ أنِّي لم أرَ أسفَه ولا أسخف ولا أسمج ممَّا يكتبه عن الإسلام هذا الَّذي يُسَمَّى بـ«سعيد العشماوي»، وكلَّما قرأت شيئًا ممَّا كتبه لا أطيق الاستمرار في قراءته؛ لأنَّه يُثير الغثيان والاشمئزاز، والرغبة في التقيُّؤ، و«يُفَوِّر» الدم البارد؛ لأنَّه كما قال الله تعالى في شأن بعض الناس: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الحج: ٨، ٩].

ولكن أخي الدكتور عمارة آتاه الله من قوَّة الإرادة والتحمُّل ما جعله يصبر على قراءة هذه السماجات والسفاهات، والتفاهات والجهالات، ويتتبعها ويكشف عن جهل صاحبها، الَّذي يعمل مستشارًا في «أمن الدولة»! وزعم أنَّه أستاذ في أصول الدِّين وأصول الشريعة! ولا أدري من الَّذي منحه هذه الأستاذيَّة؟

لقد ادَّعى العشماوي أنَّه اكتسب هذه الأستاذيَّة من اعتراف الجامعات الإسلاميَّة به، ولكنَّ د. عمارة لم يجد جامعة إسلاميَّة واحدة في الشرق أو الغرب، في بلاد العرب والعجم، اعترفت به أو دعته إليها. بل كلُّها جامعات أمريكيَّة وغربيَّة.. ولا غرو أنْ يوصي سفير الدولة الصهيونيَّة بالقاهرة «موشيه سامون» بقراءة كتبه!

QaradawiBooks.com

ولقد ناقشه الدكتور عمارة في أكثر من كتاب، وخصوصًا في كتابه «سقوط الغلو العِلماني» الَّذي جلَّاه لنا مكشوف السَّوْءات، لا تستره غلالة، ولا ورقة توت، كما يقولون. وبيَّن لنا بجلاءٍ أنَّ هذا الرجل ليس عنده من الإسلام شيء، لا عقيدة ولا شريعة، ولا عبادة ولا أخلاق، ولا قيم ولا مفاهيم، ولا قداسة لشيءٍ عنده، لا للقرآن ولا للسُّنَّة، ولا كرامة لأحدٍ ولا لشيءٍ عنده: لا للصحابة، ولا التابعين، ولا للأئمَّة الكبار، ولا للفقهاء، ولا للتراث؛ بل ولا لمحمَّد رسول الله نفسه! ولا مكان للإسلام اليوم ولا وجود له؛ لأنَّه انتهى بموت الرسول.

ومن المهمِّ: أن نُسَجِّل هذه النتائج الخطيرة والمذهلة الَّتي وصل إليها د. عمارة، من خلال نصوصه الواضحة المباشرة، وليس من استنباطه واستنتاجاته. وخلاصتها: اقتلاع الإسلام من جذوره أصولًا وفروعًا.

يقول د. عمارة في خاتمة كتابه: «وبعد، فقد رأينا عبر صفحات هذا الكتاب، حدَّة المطاعن ـ غير المألوفة، ولا المسبوقة، ولا المعقولة، ولا المقبولة ـ الَّتي وجَّهها المستشار محمَّد السعيد العشماوي إلى الإسلام، وكتابه الكريم، ورسوله ﷺ، وصحابته رضوان الله عليهم، وإلى خلافته وأمَّتِه، وكيف ركَّز مطاعنه ليقطع روابط الإسلام بالسياسة والدولة وشؤون العمران، ثمَّ بلغ به الذروة ليطوي صفحة المشروعيَّة والشرعيَّة الإلٰهيَّة، وينسخ شريعة الإسلام.

ففي «المشروع الفكري العشماوي» ـ الَّذي قدَّمه الرجل في أحد عشر كتابًا ـ رأينا عنده:

١ ـ **صورة الإسلام: الَّذي** قال عنه: «إنَّه تحوَّل إلى اتِّجاه عسكري، وصيغة حربيَّة ـ منذ غزوة بدر ـ وتغيَّرت رُوحه، فانزلق إلى مهوًى

QaradawiBooks.com

خطير، وتبدَّل صميم شـــريعته، فانحدرت إلى مسقطٍ عسير، وطفح على وجهه كلُّ صراع، فبثر بثورًا غائرة، ونشر بقعًا خبيثة»!

٢ ـ وصورة القرآن: الَّذي قال عنه: «إنَّ اتِّحاد نصِّه» قد ضيَّع الإنسان المســـلم، فجعله إنسان النصِّ لا المعنى، إنســـان النقل لا العقل، إنسان الحرف لا الرُّوح.

وأنَّه لم يطبَّق ـ في كلِّ العصور الإســـلاميَّة ـ إلَّا كأمرٍ شـــاذٍّ، وعملة نادرة، أو كمجرَّد نزوة، في ظرفٍ استثنائي.

«النصُّ القرآني لا زالت به حتَّى الآن أخطاء نحويَّة ولُغَوِيَّة»!

٣ ـ وصورة الرســـول ﷺ: الَّذي قال عنه: إنَّه صاحب «دعوى»، غير معصوم، وإنَّ عقيدة العِصْمة هي أفكار إسرائيليَّة دخيلة[1]، وإنَّ الدستور الَّذي وضعه لحكم الدولة: «وثيقة شـــبه جاهليَّـــة»، وإنَّه كان يقضي بين الناس جريًا على سُـــنَّة العرب فـــي الجاهليَّة، ولقـــد عارضت كثير من القبائل ما فرضه عليهم من إتاوة أو جزية أو خَراج أو رشـــوة يســـوؤهم أداؤها، ويُذلُّهم دفعها (يقصد بذلك الزكاة الركن الثالث في الإســـلام) وإنَّه كان يُشجِّع شـــعر حسَّـــان بن ثابت «المُقْذِع البذيء»! قلت: «حتَّى رسول الله الَّذي أرســـله الله رحمةً للعالَمين، ونعمةً على المؤمنين، يتلو عليهم آياتـــه ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة! لم يســـلم من تطاول العشماوي وسفاهته».

٤ ـ وصورة أبي يكر الصِّدِّيق: الَّذي قال عنـــه: «إنَّه أتى بدينٍ جديد غير دين النبيِّ، وأحدث زيوغًا في الخلافة، وحيودًا في الحكم، واشتدادًا

(١) كيف واليهود لا يؤمنون بعصمة الأنبياء، وينسبون إليهم في توراتهم كل معصية وكل كبيرة؟!

QaradawiBooks.com

في نزعة الغزو، وانتشـارًا للجشع والفسـاد، وظهورًا للقبلية والطائفيَّة، واغتصب حقوق النبيِّ»!

قلت: «ومن قال في رسول الله ما قال من السبِّ والكذب لا يستبعد أنْ يقول ما يقول في أبي بكر».

٥ ـ **وصورة الصحابـة، رضوان الله عليهم: الَّذين** قـال عنهم: «إنَّهم كانوا يتسابقون في الاغتيالات، إرضاءً للرسـول، ولم يُمَيِّزوا بين النُّبُوَّة والمُلْك، فحُجِبوا عن مفهوم النبوَّة، وعُزِلوا عن صميم الرسـالة، ولقد ارتدَّ كثيرٌ منهـم إلى خُلُق الجاهليَّة وطباعها في فتـرة وجيزة، بعد وفاة عمر بن الخطاب»!

قلت: «فكيف أثنى عليهم القرآن والسُّـنَّة في نصوص كثيرة؟ وكيف نشروا الإسلام في العالم؟ وكيف انتصروا على أكبر إمبراطوريتَيْن»؟!

٦ ـ **وصورة الخلافة الإسـلاميَّة: الَّتي** قال عنهـا: «إنَّها خلطت مَقام النبـوَّة ومنصب الخلافـة، فأصبح الخلفـاء فيها مُقَدَّسـين معصومين، وصارت دولة عنصريَّة»!

قلت: «هذه فِرْية ما فيها مِرْية، وكلُّ حقائق التاريخ تُكَذِّبها».

٧ ـ **وصورة الفقه الإسـلامي: الَّذي** قال عنه: «إنَّه فقـه الحيل، الَّتي حرَّمت الحلال، وتعدَّت على مقام الجلالة، ونزعت منازع المشـركين عبدة الأوثان، واقتفت أثر الجُهَّال أصحاب الأصنام»!

قلت: «هذا الرجل يستمرُّ في الكذب، كأنَّه يقتات عليه».

٨ ـ **وصورة فقهاء الإسـلام: الَّذين** قال عنهم: «إنَّهـم كانوا فيما

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

يفعلون يضعون أيديهم ـ في كلِّ قـولٍ أو همسٍ أو صمتٍ ـ على يد الخلافـة الجائـرة، فلا يصـدر عنهـم إلَّا ما يوافق عليـه الخليفة وما يرتضيه السلطان»!

٩ ـ وصورة الأُمَّة الإسلاميَّة: الَّتي قال عنها: «إنَّها ارتدَّت إلى عناصر الشخصيَّة الجاهليَّة ـ القَبَليَّة، والتطرُّف، والصراع ـ وعاد كثير منهم إلى السَّـلْب والصعلكة، فأصبحت شـخصيَّتُها الحقيقيَّة: أخـلاق جاهليَّة، وتصرُّفات جاهليَّة، وصار الجميع إلى طباعٍ جافَّة: من الأنانية، والخوف، والجبن، والفساد، والوشاية، والرشوة، والتملُّق، والانتهازيَّة».

١٠ ـ وصورة الشريعة الإسلاميَّة: الَّتي قال عنها: «إنَّها رحمة وضمير، لا قانون وتشـريع»، فالدعوة إلى الحكم بشرع الله وحده، هي دعوة إلى أفكارٍ يهوديَّة.

والقواعد والأحكام التشـريعيَّة فـي القرآن مؤقَّتة بأسـباب نزولها، وليس لها إطلاقٌ ولا استمرار.

وبوفاة الرسول ﷺ، انتهى التنزيل، وانعدم الوحي، وسكنت الشرعيَّة الإلٰهيَّة، وأصبحت الأحكام تاريخيَّة، ليس لها أيَّة قوَّة مُلْزِمة، أو أيُّ أثر فعَّال، بما فـي ذلك: مبادئ وأحكام: الشـورى، والميراث، والحجاب، والحدود، حتَّـى الخمر فهي غير محرَّمـة في القـرآن، وحتَّى اللواط، فلا عقوبة عليه في الإسلام.

والحكم بما أنزل الله، كان خاصًّا بالرسول شخصيًّا دون سواه»!

تلك نماذج ـ مجرَّد نماذج ـ من مطاعن المستشـار عشـماوي في الإسلام ومقدَّساته، عرضناها في هذا الكتاب بنصوصه الموثَّقة، وحاولنا

QaradawiBooks.com

قدر ما وفَّقنا الله إليه جلاءَ الحقِّ، وردَّ المطاعن، وذلك وفاءً بحقِّ الإسلام علينا، وتبصيرًا للأُمَّة، وشُكْرًا لله على نعمة الإسلام»[١].

وقد قدَّم الدكتور عمارة تعريفًا بذلك الرجل، الَّذي ملأ الدنيا حديثًا عن الإسلام المستنير كذبًا وبهتانًا، ليكون المسلم منه على حذر، وأظهره في مكانته الَّتي تليق به، وكشف عنه زيف تعالمه وحداثته، وعرَّاه أمام قارئيه، فقال: «فيكفي أنَّ رموز الهيمنة الغربيَّة، الَّذين يُتابعون أنشطة التصدِّي لليقظة الإسلاميَّة، يُسمُّون هذا المشروع الفكري لهذا الكاتب: «الإسلام المستنير»، فإنَّ أوَّل صهيوني يعمل سفيرًا للكيان الصهيوني بمصر، وهو «موشيه ساسون» كان صديقًا لهذا الكاتب، وكان ينصح من يلقاهم من الشباب المسلم بقراءة هذا المشروع الفكري، ويصف صاحبه بأنَّه رجلٌ ضليعٌ في شؤون الإسلام، تساعد قراءته على إشاعة رُوح الاعتدال والتسامح والسلام والجيرة الطيِّبة[٢].

ويكفي أنْ نعرف فقه صاحب هذه المقالة الَّذي يرى أنَّ «الخمر في القرآن، مأمور باجتنابها، وليست محرَّمة»[٣].

ويرى أنَّ «اللواط ذكر في القرآن في قصص آل لوط، كفعل مستهجن، وإثم ديني، ولم ينصَّ القرآن ولا نصَّت السُّنَّة على عقوبة له بين البالغين، أو البالغين والقصر، وأمره متروك للمجتمع، يعزِّر عنه طبقًا لظروف الحال»[٤].

(١) سقوط الغلو العلماني صـ ٣١١ ـ ٣١٤، نشر دار الشروق، القاهرة، ط ٣، ٢٠٠٩م.

(٢) مقالات الغلو الديني صـ ٩٢، نشر مكتبة الشروق الدولية، ط ١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.

(٣) أصول الشريعة للعشماوي صـ ١٢٣، نشر مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ٢، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

(٤) الإسلام السياسي للعشماوي صـ ٢١٤، ٢١٥، نشر مكتبة مدبولي الصغير، مصر، ط ٤، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

QaradawiBooks.com

كانت العِلمانيَّة الغربيَّة، الَّتي عزلت السماء عن الأرض، وأحلَّت «العقل والعلم والفلسفة» (أي منظومة التنوير الغربي) محلَّ «الله والكنيسة واللاهوت»، وجعلت من الحداثة «دينًا طبيعيًّا» أحلَّته محلَّ «الدين الإلٰهي».

كانت ـ هذه العِلمانيَّة ـ بمثابة «الكأس المسمومة» الَّتي تجرَّعتها المسيحيَّة الغربيَّة، فترنَّحت، وأصابها الإعياء والعجز والتهميش، وبشهادة أحد الخبراء الألمان، عالم الاجتماع والقس «جوتفرايد كونزلن»: «فلقد مثَّلت العِلمانيَّة: تراجع السلطة المسيحيَّة، وضياع أهمِّيتها الدينيَّة، وتَحَوُّل معتقدات المسيحيَّة إلى مفاهيم دنيويَّة، والفصل النهائي بين المعتقدات الدينيَّة والحقوق المدنيَّة، وسيادة مبدأ: دين بلا سياسة، وسياسة بلا دين.

لقد نبعت العِلمانيَّة من التنوير الغربي، وجاءت ثمرة لصراع العقل مع الدين، وانتصاره عليه، باعتباره مجرَّد أثر لحقبة من حقب التاريخ البشري، يتلاشى باطراد في مسار التطوُّر الإنساني. ومن نتائج العِلمانيَّة: فقدان المسيحيَّة لأهمِّيتها فقدانًا كاملًا، وزوال أهميَّة الدين كسلطة عامَّة، لإضفاء الشرعيَّة على القانون والنظام والسياسة والتربية والتعليم، بل وزوال أهمِّيته أيضًا كقوَّة موجِّهة فيما يتعلَّق بأسلوب الحياة الخاصِّ للسواد الأعظم من الناس، وللحياة بشكلٍ عامٍّ، فسلطة الدولة، وليست الحقيقة هي الَّتي تصنع القانون، وهي الَّتي تمنح الحُرِّيَّة الدينيَّة.

ولقد قدَّمت العِلمانيَّة الحداثة باعتبارها دينًا حلَّ مَحلَّ الدِّين المسيحي، يفهم الوجود بقُوى دنيويَّة، هي العقل والعلم، لكن وبعد تلاشي المسيحيَّة سرعان ما عجزت العِلمانيَّة عن الإجابة على أسئلة

QaradawiBooks.com

الإنسان، الَّتي كان الدِّين يُقَدِّم لها الإجابات، فالقناعات العقليَّة أصبحت مفتقرة إلى اليقين، وغدت الحداثة العِلمانيَّة غير واثقة من نفسها، بل وتفكُّك أنساقها العقليَّة والعلميَّة، عدميَّة ما بعد الحداثة، فدخلت الثقافة العِلمانيَّة في أزمة بعد أن أدخلت الدِّين المسيحي في أزمة، فالإنهاك الَّذي أصاب المسيحيَّة أعقبه إعياءٌ أصاب كلَّ العصر العِلماني الحديث، وتحقَّقت نبوءة «نيتشه» (١٨٤٤ ـ ١٩٠٠م) عن «إفراز التطوُّر الثقافي الغربي لأناسٍ يفقدون نجمهم الَّذي فوقهم، ويحيون حياةً تافهة، ذات بُعْدٍ واحد، لا يعرف الواحد منهم شيئًا خارج نطاقه».

وبعبارة «إكس فيبر» (١٨٦٤ ـ ١٩٢٠م): «لقد أصبح هناك أخصَّائيُّون لا رُوح لهم، وعلماء لا قلوب لهم.

ولأنَّ الاهتمام الإنسانيَّ بالدِّين لم يتلاشَ، بل تزايد. وفي ظلِّ انحسار المسيحيَّة، انفتح باب أوربا لضروب من الرُّوحانيات، وخليط من العقائد الدينيَّة لا علاقة لها بالمسيحيَّة ولا بالكنيسة «من التنجيم، إلى عبادة القوى الخَفِيَّة والخارقة، والاعتقاد بالأشباح، وطقوس الهنود الحُمْر، ورُوحانيَّات الديانات الآسيويَّة، والإسلام الَّذي أخذ يُحَقِّق نجاحًا متزايدًا في المجتمعات الغربيَّة.

لقد أزالت العِلمانيَّة السيادة الثقافيَّة للمسيحيَّة عن أوربا، ثمَّ عجزت عن تحقيق سيادة دينها العِلماني على الإنسان الأوربي، عندما أصبح معبدها العلمي عتيقًا! ففقد النَّاس «النَّجم» الَّذي كانوا به يهتدون: وعْد الخلاص المسيحي، ثمَّ وعد الخلاص العِلماني»[1]!

(١) مأزق المسيحية والعلمانية في أوربا لجوتفرايد كونزلين صـ ١٧، ١٨، تقديم وتعليق د. محمد عمارة، نشر نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٩م.

QaradawiBooks.com

تلك شـــهادة خبيرٍ غربيٍّ فـــي الدِّيـــن والاجتماع معًا علـــى تجرُّع المســـيحيَّة الغربيَّة لكأس العِلمانيَّة المســـمومة، الَّتـــي أصابتها بالهزال والإعياء والتهميش... فكان الفراغ الرُّوحي الَّذي ســـقطت فيه الشعوب الأوربيَّة، وخاصَّة بعد إفلاس الحداثة ودينها الطبيعي.

حقائق وأرقام على أرض الواقع:

وعلى أرض الواقع، وبالحقائق والأرقام:

• فإنَّ الَّذين يؤمنون ـ فـــي أوربا ـ بوجود إلٰه ـ مجـــرَّد وجود إلٰه ـ لا يتعدَّون (١٤٪) من الأوربيِّين!

• والَّذين يواظبون على حضور القُدَّاس بالكنيســـة ـ مرَّة في الأسبوع ـ في فرنسا ـ بنت الكاثوليكية، وأكبر بلادها ـ أقلُّ من (٥٪) من السكان ـ أي أقلَّ من ثلاثة ملايين فرنسي ـ أي أقلَّ من نصف عدد المسلمين في فرنسا!

• وفي ألمانيا، توقَّف القُدَّاس في (١٠٠) كنيسة من أصل (٣٥٠) كنيسة في أبرشية «أيسن» بســـبب قلَّة الزوَّار، الأمر الَّذي زاد من عدد الكنائس المعروضة للبيـــع، والتحوُّل إلـــى أغراض أخرى ـ من مثـــل: المطاعم والملاهي، وحتَّى المساجد ـ بينما ارتفع عدد المساجد ـ في ألمانيا ـ من (١٤١) إلـــى (١٨٧) في عامـــي (٢٠٠٥، ٢٠٠٦م) وحدهمـــا! وبلغت مواليد المسلمين (١٠٪) من جملة المواليد في السنوات العشر الأخيرة!

• وفـــي إنجلترا، صنفـــت أكثر مـــن (١٦٠٠) كنيســـة ـ أي (١٠٪) من الكنائس الإنجليزية ـ رسميًّا باعتبارها زائدة عن الحاجة، ومعروضة للبيع، في الوقت الَّذي يتحدَّثون فيه عن أنَّ عدد المســـلمين الإنجليز الملتزمين دينيًّا سيتفوَّق ـ في العقود القادمة ـ على نظرائهم الإنجليكانيِّين!

QaradawiBooks.com

ومع أنَّ نسبة المسلمين في إنجلترا هي (٣٪) من السكان، فإنَّ المواليد الَّذين أطلق عليهم اسم «محمَّد» سنة (٢٠٠٦م) ـ يأتون في المرتبة الثانية بعد اسم «جاك»[١]!

• وفي إيطاليا، غنَّت «مادونا» في إحدى الكنائس التاريخيَّة، بعد تحويلها إلى مطعم وملهى، وبعد تحويل «المذبح» إلى فرن للبيتزا!

• وفي جمهورية التشيك لا يذهب للقُدَّاس سوى (٣٪) من السكَّان، وتباع الكنائس التاريخيَّة، لتتحوَّل إلى مطاعم وملاهٍ، ومعروض للبيع منها (١٠٠٠) كنيسة، أي نصف عدد الكنائس في جمهورية التشيك!

• وفي سنة (٢٠٠٧م) أسلم (١١٤٠٠٠) في فرنسا وهولندا وألمانيا، والجزء الشمالي من بلجيكا والنمسا[٢].

• وهذا الواقع البائس الَّذي صنعته العِلمانيَّة بالمسيحيَّة الأوربيَّة هو الَّذي جعل بابا الفاتيكان «بنديكتوس السادس عشر» يعلن في كتابه: «بلا جذور، الغرب، النسبية، المسيحيَّة والإسلام» سنة (٢٠٠٦م) عن مخاوفه الثلاثة:

١ ـ انقراض الأوربيِّين المسيحيِّين ـ وخاصَّة الألمان والإيطاليِّين والإسبان ـ بسبب تحلُّل الأسرة، وعدم الإنجاب، وزيادة نسبة الوفيات عن نسبة المواليد.

(١) جريدة الحياة اللندنية، بتاريخ ٨ مايو ٢٠٠٧م، ونيوزويك الأمريكية بتاريخ ٢٧ فبراير ٢٠٠٧م، ومجلة فوكس الألمانية ـ نقلًا عن جريدة المدينة السعودية، ملحق الرسالة يوم ٢١ سبتمبر ٢٠٠٧م.

(٢) جريدة أويست فرانس الفرنسية، نقلًا عن جريدة الدعوة الإسلامية الليبية، يوم ٢٠٠٧/٨/١م.

QaradawiBooks.com

٢ ـ وحلول الهجرات المسلمة العربيَّة والإفريقيَّة مَحَلَّ المسيحيِّين الأوربيِّين المنقرضين!

٣ ـ وأن تصبح أوربا «جزءًا من دار الإسلام» في القرن الواحد والعشرين[١]!

الرُّوح الصليبيَّة حيَّة ومُتَوَقِّدة في مواجهة الإسلام:

هكذا صنعت العِلمانيَّة بالمسيحيَّة في أوربا.

لكن مؤسَّسات الهيمنة الاستعماريَّة الغربيَّة، الَّتي طاردت الدِّين واللاهوت في بلادها، وهمَّشت دور الكنيسة في مجتمعاتها، قد ظلَّت وفيَّة للرُّوح الصليبيَّة في مواجهتها مع الإسلام والمسلمين.

واستمرَّت في استخدام الدين والكنيسة والتنصير؛ سلاحًا في الزحف الإمبريالي على عالم الإسلام!

فسُلطاتها الاستعماريَّة تعمل على علمنة المسلمين، لكسر شوكة المقاومة الإسلاميَّة للاستعمار الغربي، بتحويل الإسلام إلى رُوحانيَّة فرديَّة معزولة عن السياسة والاجتماع، من فتح الأبواب والميادين للكنائس الغربيَّة لتنصير المسلمين، وذلك لإتمام عمليَّة التغريب والتبعيَّة والإلحاق، كي يتأبَّد النهبُ الاقتصادي والمسخُ الحضاري، اللَّذان هما الهدف الأوَّل للاستعمار.

(١) جوزيف راتزنجر: بابا الفاتيكان بنديكتوس السادس عشر، ومارسيليوييرا: بلا جذور، الغرب، النسبية، والمسيحية والإسلام، نشر نيويورك سنة ٢٠٠٦م، وانظر في ذلك ـ أيضًا ـ جريدة الشرق الأوسط ـ لندن، ملحق منتدى الكتب يوم ٢٦ إبريل ٢٠٠٦م. والفاتيكان والإسلام للدكتور عمارة، نشر مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٧م.

QaradawiBooks.com

فبعدما يقرب مـــن أربعين عامًا على انتصار الثورة الفرنســيَّة ـ ذات التوجُّه العِلمانيِّ المتوحِّش، والَّتي همَّشـــت النصرانيَّة وكنيســـتها ـ نجد الـــرُّوح الصليبيَّة حيَّـــة ومتوقِّدة، وحاقـــدة في مواجهة الإســـلام وأمَّته وحضارته، عند احتلال فرنسا للجزائر سنة (١٨٣٠م).

ويحكي «رفاعة الطهطاوي» (١٢١٦ ـ ١٢٩٠هـ = ١٨٠١ ـ ١٨٧٣م) ـ وكان شـــاهدَ عِيانٍ يومئذٍ بباريس ـ كيف «أنَّ المطران الفرنسي الكبير» لمَّا سمع بأخذ الجزائر أي احتلالها ســـنة (١٨٣٠م) ـ ودخل الملك «شارل العاشر» (١٧٥٧ ـ ١٨٣٦م) الكنيسة يشكر الله على ذلك ـ [!] جاء إليه المطران ليُهَنِّئه على هذه النصرة، ومن جملة كلامه، ما معناه: إنَّه يحمد الله على كون الملَّة المسيحيَّة انتصرت نصرة عظيمة على الملَّة الإسلاميَّة، وما زالت كذلك[1]!

فالرُّوح الصليبيَّة حاضرة وحاقدة في مواجهة الإسلام وأمَّته وعالمه، وهي تُوَحِّد «الدولة» و«الكنيسة»، في ظلِّ العِلمانيَّة، كما كان الحال في العصور الأوربيَّة الوسطى، عندما تكون المواجهة مع الإسلام!

وبعد قرن من الزمان على احتلال فرنســـا للجزائر، احتفلت فرنســـا العِلمانيَّة بمرور قرن على احتلالها لهذا البلد المسلم سنة (١٩٣٠م).

ويومئذٍ لم تنسَ فرنســـا الرُّوح الصليبيَّة المعادية للجزائر المســـلمة، والحاقدة على إســـلام الجزائريِّين.. فخطب أحد كبار الساسة الفرنسيِّين في مهرجانـــات هذه الاحتفالات، فقـــال: «إنَّنا لن ننتصـــر على الجزائر ما داموا يقرؤون القرآن، ويتكلَّمون العربيَّـــة، فيجب أنْ نزيل القرآن من وجودهم، وأن نقتلع العربيَّة من ألسنتهم»!

(١) الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي (٢٢٠/٢)، دراسة وتحقيق د. محمد عمارة، بيروت، ١٩٧٣م.

QaradawiBooks.com

وخطب سياسي آخر، فقال: «لا تَظُنُّوا أنَّ هذه المهرجانات من أجل بلوغنا مائة سنة في هذا الوطن، فلقد قام الرومان قبلنا فيه ثلاثة قرون، ومع ذلك خرجوا منه. ألا فلتعلموا، أنَّ مغزى هذه المهرجانات هو تشييع جنازة الإسلام بهذه الديار»!

كما خطب أحد كرادلة الكنيسة الكاثوليكيَّة الفرنسيَّة ـ بهذه المهرجانات ـ فقال: «إنَّ عهد الهلال في الجزائر قد غبر، وإنَّ عهد الصليب قد بدأ، وإنَّه سيستمر إلى الأبد، وإنَّ علينا أن نجعل أرض الجزائر مهدًا لدولة مسيحيَّة مُضاءةٍ أرجاؤها بنورِ مدنيَّةٍ، منبعُ وحيِها الإنجيل»[(١)]!

ولقد فطن المسلمون الجزائريُّون ـ في تجربتهم مع الاستعمار الفرنسي ـ إلى «أنَّ موقف البرجوازيَّة الفرنسيَّة هذا هو مدعاة للعجب، فإنَّ هذه البرجوازيَّة نفَّذت حكم الإعدام في القسس، وأحرقت الكنائس، وحاولت محو الدين المسيحي في فرنسا المسيحيَّة. أما في الجزائر، فقد اتَّخذت مسلكًا مخالفًا، فحوَّلت المساجد إلى كنائس، ومجَّدت المسيحيَّة، واستخدمت أموال المسلمين لتنصيرهم! وهكذا أحيت الرُّوح الصليبيَّة عندما رفعت علم المسيحيَّة ضدَّ الإسلام، في الوقت الَّذي ظلَّت تسخر فيه من المسيحيَّة والإسلام في آنٍ واحد»[(٢)].

فالعِلمانيَّة الأوربيَّة تطارد المسيحيَّة في بلادها، لكنَّها تستخدمها في مطاردة الإسلام إبَّان الزحف الإمبريالي على بلاد المسلمين!

---

(١) انظر: من أعلام الإحياء الإسلامي صـ ١٢٤، ١٢٥، دراسة د. عمارة عن الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، نشر مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٦م.

(٢) الإمام عبد الحميد بن باديس للدكتور محمود قاسم صـ ١٠، نشر دار المعارف، القاهرة، ومسلمون ثوار للدكتور محمد عمارة صـ ٤٧٠، نشر دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٦م.

QaradawiBooks.com

صورة من التحالف بين المدفع العِلماني وإنجيل المنصِّرين:

• ولقد ظلَّ هذا حال الاستعمار الغربي دائمًا وأبدًا، ففي مجتمعاته الأوربيَّة يتبنَّى العِلمانيَّة الَّتي تهمِّش المسيحيَّة، لكنَّه في المستعمرات المسلمة يستخدم النصرانيَّة الصليبيَّة وكنائسها؛ لإقامة القواعد الدينيَّة ـ إلى جوار القواعد العسكريَّة ـ ولتنصير المسلمين، دعمًا للاحتلال، ولتأييد النهب والتبعيَّة والإلحاق.

صنع ذلك بواسطة إرساليَّات التبشير النصراني، ومدارسها وجامعاتها، ومؤسَّساتها الثقافيَّة ومنابرها الإعلاميَّة، في المشرق العربي.. تلك الَّتي أعلن القناصل الفرنسيُّون أنَّ الهدف منها هو «تكوين جيش متفانٍ في خدمة فرنسا في كلِّ وقت، وجعل البربريَّة العربيَّة ـ [كذا] ـ تنحني لا إراديًّا أمام الحضارة المسيحيَّة لأوربا»[1]!

• وعندما عقدت الكنائس الأمريكيَّة مؤتمرها التنصيري الشهير ـ مؤتمر كولورادو ـ في مايو سنة (١٩٧٨م)، أعلنت فيه الحرب الصليبيَّة الجديدة على الإسلام، فقالت في وثائق هذا المؤتمر: «إنَّ الإسلام هو الدِّين الوحيد الَّذي تناقض مصادره الأصليَّة أسس النصرانيَّة، والنظام الإسلامي هو أكثر النظم الدينيَّة المتناسقة اجتماعيًّا وسياسيًّا، ونحن بحاجة إلى مئات المراكز، لفهم الإسلام، ولاختراقه في صدقٍ ودهاء! ولذلك، لا يوجد لدينا أمر أكثر أهميَّة وأولويَّة من موضوع تنصير المسلمين.

ولذلك، فعلى مديري إرساليَّات أمريكا الشماليَّة والقادة المنصِّرين الآخرين أنْ يكتشفوا ويوطِّدوا أساليب جديدة للتعاون والمشاركة مع كنائس العالم الثالث، وعملها المنظَّم للوصول إلى المسلمين.

---

(١) أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية ـ سنوات ١٨٤٠، ١٨٤٢، ١٨٤٨، ١٨٩٧، ١٨٩٨م. انظر كتاب د. عمارة: هل الإسلام هو الحل صـ ٢٢، نشر دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٧م.

QaradawiBooks.com

لقد وطَّدنا العــزم على العمل بالاعتماد المتبــادل مع كلِّ النصارى والكنائس الموجودة في العام الإسلامي.

إنَّ نصارى البروتستانت في الشرق الأوسط وأفريقيا وآسيا منهمكون بصورة عميقة في عمليَّة تنصير المســلمين، ويجــب أنْ تخرج الكنائس القوميَّة من عزلتها، وتقتحم بعزمٍ جديدٍ ثقافات ومجتمعات المسلمين، الَّذين تسعى إلى تنصيرهم.

وعلى المواطنين النصارى في البلدان الإسلاميَّة وإرساليَّات التنصير الأجنبيَّة العمل معًــا، بروح تامَّة، من أجل الاعتمــاد المتبادل والتعاون المشترك لتنصير المسلمين؛ إذ يجب أنْ يتمَّ كسب المسلمين عن طريق منصِّريــن مقبولين من داخل مجتمعاتهم. ويفضَّــل النصارى العرب في عمليَّة التنصير.

إنَّ تنصير هذه البلاد سيتمُّ من خلال النصارى المنتمين إلى الكنائس المحليَّة، ويتمُّ ذلك بعد تكوين جالية محليَّة نصرانيَّة قويَّة»[1].

• وفي ســبيل اختراق العالم الإسلامي، لتنفيذ هذا المخطط لتنصير المســلمين، نظَّرت هذه الكنائس وقعَّدت «للميكافيليَّة الصليبيَّة»، عندما أعلنت عن «صنع الكوارث» لاستخدام المعونات والمساعدات لتنصير الفقراء والمحتاجين المسلمين! فالاستعمار الغربي وحكوماته العِلمانيَّة ينهبون ثروات المســلمين، ويحوِّلون جماهيرهم إلــى فقراء ومعدمين، وكنائس الــدول الاســتعماريَّة ـ تحت حمايــة المدافع الاســتعماريَّة ـ

(١) التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي الترجمة العربية لوثائق مؤتمر كولورادو صـ ٤، ٥، ٢٢، ٢٣، ٥٣، ٥٦، ٣٨٣، ٤٥٢، ٦٢٧، ٦٣٠، ٧٨٩، ٧٩٠، ٨٤٥، نشر مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطا، ١٩٩١م.

QaradawiBooks.com

تستخدم كِسْرة الخبز وجرعة الدواء، لتحويل هؤلاء الفقراء المعدمين عن دين الإسلام إلى النصرانيَّة الغربيَّة».

وهكذا تمَّ ويتمُّ التحالف ـ غير المقدَّس ـ بين «المدفع العِلماني» مع «إنجيل المُنَصِّرين»!

نعم، نظَّرت وقعَّدت هذه الكنائس لهذه «الميكافيليَّة الصليبيَّة» فقالت في وثائق مؤتمر «كولورادو»: «لكي يكون هنـاك تحوُّل إلى النصرانيَّة، فلا بدَّ من وجـود أزمـات ومشـاكل وعوامل تدفـع النـاس ـ أفرادًا وجماعات ـ خـارج حالة التوازن الَّتي اعتادوهـا! وقد تأتي هذه الأمور على شكل عوامل طبيعيَّة، كالفقر والمرض، والكوارث والحروب، وقد تكون معنويَّة، كالتفرقة العنصريَّة، أو الوضع الاجتماعي المتدنِّي.

وفي غياب مثل هـذه الأوضاع المهيَّئة، فلن تكـون هناك تحوُّلات كبيرة إلى النصرانيَّة! ولذلك، فإنَّ تقديم العون لذوي الحاجة قد أصبح أمرًا مهمًّا في عمليَّة التنصير! وإنَّ إحدى معجزات عصرنا، أنَّ احتياجات كثير من المجتمعات الإسـلاميَّة قد بدَّلت موقف حكومتها الَّتي كانت تناهض العمل التنصيري، فأصبحت أكثر تقبُّلًا للنصارى»[1]!

«فالمدفع» العِلماني الاستعماري الغربي يجتاح مواطن الثروات في عالم الإسـلام، لنهبها، وفي سـبيل ذلك يصنع الكـوارث الَّتي تطحن الشعوب الإسلاميَّة، ثمَّ يفتح الأبواب ـ تحت قهر المدافع ـ لإرساليَّات التنصير؛ كي تقدِّم العون والمسـاعدة باسـم يسوع المسـيح، كي يبيع الفقراء والمعدمون إسلامهم، لقاء كِسْرَة خبز أو جرعة دواء!

(١) التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي صـ ١٤٧، ٣٦٤، ٤٢٤، ٤٦٩، ٨٢٦، ٨٢٧.

QaradawiBooks.com

• ولقد وضع هذا المخطط، وهذه «الميكافيليَّة الصليبيَّة» في الممارسة والتطبيق.

• فهذه الكنائس الأمريكيَّة، الَّتي تتحكَّم في القوة الأمريكيَّة ـ الفرعونيَّة والقارونيَّة ـ بواسطة «التحالف المسيحي» و«اليمين الديني» و«المحافظين الجدد»، قد نصَّرت ربع سكان كوريا الجنوبيَّة، أي أقامت في تلك البلاد «قاعدة دينيَّة نصرانيَّة» إلى جوار «القواعد العسكريَّة الأمريكيَّة» الَّتي أقامتها فيها منذ سنة (١٩٤٥م)[١].

الغرب هو الَّذي يعلن الحرب على الإسلام وحضارته:

إنَّ الغرب، الَّذي زرع ـ ويزرع ـ العِلمانيَّة في المجتمعات الإسلاميَّة، بواسطة سلطات الاستعمار المباشر، وبواسطة المُتغرِّبين العِلمانيِّين من أبناء جلدتنا، الَّذين صنعهم على عينه في بلادنا، هو الَّذي أعلن الحرب على الإسلام، عندما جعله العدو «الخطر الأخضر» الَّذي أحلَّه محلَّ «الخطر الشيوعي الأحمر»، فور سقوط الشيوعيَّة وأحزابها وحكوماتها أوائل سنة (١٩٩١م). لا لشيء إلَّا لاستعصاء الإسلام على العلمنة، ومن ثمَّ استعصائه على التبعيَّة والذوبان في النموذج الحضاري الغربي، ورفضه ـ من ثمَّ ـ الاستسلام للإمبرياليَّة الغربيَّة.

لقد أعلن هذا الغرب الإمبريالي الحرب على الإسلام وأمَّته وحضارته وعالمه كي يُجرِّعه «كأس العِلمانيَّة المسموم»، الَّذي همَّش المسيحيَّة الغربيَّة وأصابها بالهزال والإعياء والإفلاس.

(١) علمانية المدفع والإنجيل صـ ٢٤، نشر مكتبة البخاري للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

QaradawiBooks.com

وعن هذه الحقيقة كتبت مجلة: شؤون دوليَّة ـ الصادرة في «كمبردج» بلندن ـ عدد يناير سنة (١٩٩١م) تقول: «لقد شعر الكثيرون بالحاجة إلى اكتشاف تهديد يحلُّ محلَّ التهديد السوفيتي، وبالنسبة لهذا الغرض فإنَّ الإسلام جاهز في المتناول!

إنَّ أوربيِّين كثيرين يتساءلون عما إذا كان من الممكن جعل الإسلام يقبل قواعد المجتمع العِلماني مثلما فعلت المسيحيَّة بعد صراعات كثيرة وطويلة ومؤلمة؟ أم إنَّ رسوخ الإسلام في المجال السياسي والاجتماعي يجعله يرفض القبول بالمبدأ المسيحي الغربي الَّذي يميِّز بين ما لله وما لقيصر، وبما لا يسمح لمعتنقيه أنْ يصبحوا مواطنين خاضعين للقانون بصورة يعوَّل عليها في ديمقراطيَّة عِلمانيَّة؟

إنَّ النظريَّة الَّتي يعتنقها علماء الاجتماع، والَّتي تقول: إنَّ المجتمع الصناعي والعلمي الحديث يُقَوِّض الإيمان الديني، صالحة على العموم.. لقد تناقص التأثير السياسي والسيكولوجي للدِّين، عمليًّا في كلِّ المجتمعات، وبدرجاتٍ متفاوتة، وأشكالٍ مختلفة، لكنَّ عالم الإسلام استثناءٌ مدهشٌ وتامٌّ جدًّا من هذا! فلم تتمَّ أيُّ علمنة في عالم الإسلام.

إنَّ سيطرة الإسلام على المؤمنين به هي سيطرة قويَّة، هي بطريقة ما أقوى الآن عما كانت من مائة سنة مضت. إنَّ الإسلام مقاوم للعلمنة نوعًا ما، والأمر المدهش هو أنَّ هذا يظلُّ صحيحًا في ظلِّ نظم راديكاليَّة (ثوريَّة) اجتماعيًّا، وهو صحيح أيضًا في ظلِّ النظم التقليديَّة، وهو صحيح بالنسبة إلى النظم الَّتي تقف بين النوعين. إنَّ وجود تقاليد مَحَلِّيَّة إسلاميَّة، قد مكَّن العالم الإسلامي من أن يفلت من المعضلة الَّتي أرَّقت مجتمعات أخرى، أثار الغرب فيها الاضطراب والإذلال، مُعضلة إضفاء

QaradawiBooks.com

الطابع المثالي على الغـرب ومحاكاته.. لقد امتلك الإسـلام مقوِّمات الإصلاح الذاتي، باسـم الإيمان المحلِّي، وذلك هو التفسـير الأساسي لمقاومة الإسلام المرموقة لاتِّجاه العلمنة.

إنَّ الإسـلام، من بين الثقافات الموجودة فـي الجنوب، هو الهدف المباشـر للحملة الغربيَّة الجديدة، ليس لسبب سوى أنَّه الثقافة الوحيدة القادرة علـى توجيه تحدٍّ فعلـيٍّ وحقيقيٍّ لمجتمعات يسـودها مذهب اللاأدريَّة وفتـور الهِمَّة واللامبالاة، وهي آفات من شـأنها أنْ تؤدِّي إلى هلاك تلك المجتمعات ماديًّا، فضلًا عن هلاكها المعنوي»[1].

وعن ذات الحقيقة ـ حقيقة استعصاء الإسلام على العلمنة والتبعيَّة للنموذج الغربي، وعداء الغرب للإسلام بسـبب هذه الممانعة الفريدة والأكيدة ـ يقول المفكر الإستراتيجي الأمريكي «فوكوياما»: «إنَّ الحداثة الَّتي تمثِّلها أمريكا وغيرها من الديمقراطيَّات المتطوِّرة، سـتبقى القوَّة المُسيطِرة في السياسة الدوليَّة، والمؤسَّسات الَّتي تُجَسِّد مبادئ الغرب الأساسيَّة، ستستمرُّ في الانتشـار عبر العالم، وهذه القِيَم والمؤسَّسات تلقى قبولًا لدى الكثير من شـعوب العالـم غير الغربيَّـة، إنْ لم نقل جميعها. ولكن السـؤال هو: هل هنـاك ثقافات أو مناطـق في العالم سـتقاوم، أو تثبت أنَّها منيعـة على عمليَّـة التحديث، بهـذا المعنى الأمريكي والغربي؟!».

ثم يجيب «فوكوياما» على هذا التسـاؤل الَّذي طرحـه فيقول: «إنَّ الإسلام هو الحضارة الرئيسية الوحيدة في العالم الَّتي يمكن الجدال بأنَّ

(١) مجلة شؤون دولية، عدد يناير ١٩٩١م، ملف عن الإسلام والمسيحية لعالم الاجتماع إدوارد مورتيمر، العدد السنوي: ديسمبر ٢٠٠١م ـ فبراير ٢٠٠٢م.

QaradawiBooks.com

لديها بعض المشاكل الأساسيَّة مع الحداثة، فالعالم الإسلامي يختلف عن غيره من الحضارات في وجه واحد مهم، فهو وحده قد ولَّد تكرارًا خلال الأعوام الأخيرة حركات مهمَّة، ترفض لا السياسات الغربيَّة فحسب، وإنَّما المبدأ الأكثر أساسية للحداثة: العِلمانيَّة نفسها.

وإنَّه بينما تجد شعوب آسيا وأمريكا اللاتينيَّة ودول المعسكر الاشتراكي وأفريقيا: الاستهلاكية الغربيَّة مغرية، وتود تقليدها ـ لو أنَّها فقط استطاعت ذلك ـ فإنَّ الأصوليين المسلمين يرون في هذه الاستهلاكية دليلًا على الانحلال الغربي».

ويعترف «فوكوياما» أنَّ هذا الاستعصاء الإسلامي على العلمنة، وهذه الممانعة الإسلاميَّة للحداثة الاستهلاكية الغربيَّة: هي سبب الحرب الَّتي يشنُّها الغرب على الإسلام ـ وليس السبب هو ما يُسمِّيه الغرب بـ«الإرهاب»! فيقول: «إنَّ المسألة ليست ـ ببساطة ـ حربًا على الإرهاب، كما تظهر الحكومة الأمريكيَّة بشكل مفهوم[؟!] وليست المسألة الحقيقيَّة ـ كما يجادل الكثير من المسلمين ـ هي السياسة الخارجية الأمريكيَّة في فلسطين، أو نحو العراق. إنَّ الصراع الأساسي الَّذي نواجهه، لسوء الحظِّ، أوسع بكثير، وهو مهم، ليس بالنسبة إلى مجموعة صغيرة من الإرهابيين، بل لمجموعة أكبر من الراديكاليين الإسلاميِّين، ومن المسلمين الَّذين يتجاوز انتماؤهم الديني جميع القيم الأساسيَّة الأخرى.

إنَّ الصراع الحالي ليس ـ ببساطة ـ معركةً ضدَّ الإرهاب، ولكنَّه صراع ضدَّ العقيدة الإسلاميَّة الأصوليَّة الَّتي تقف ضدَّ الحداثة الغربيَّة.. إنَّه يُشكِّل تحديًا أيدلوجيًّا هو ـ في بعض جوانبه ـ أكثر أساسيَّة من الخطر الَّذي شكَّلته الشيوعيَّة. وإنَّ التطوُّر الأهمَّ ينبغي أنْ يأتي من داخل الإسلام نفسه، فعلى

QaradawiBooks.com

المجتمع الإســلامي أنْ يُقرِّر فيما إذا كان يريد أنْ يصل إلى وضع سلمي مع الحداثة، وخاصَّة فيما يتعلَّق بالمبدأ الأساسي حول الدول العِلمانيَّة، أم لا؟!»[١].

فهذه الحرب الصليبيَّة الغربيَّة المعلنة على الإسلام وأمَّته وحضارته ـ والَّتي تقودها أمريكا ـ ليس ســببها ـ باعتراف «فوكوياما» ـ ما يسمَّى بالإرهاب، وإنَّما **الســبب الحقيقي والأعمق هو استعصاء الإسلام على العلمنة، ورفضه للحداثة الاستهلاكية الغربيَّة»**[٢]!

مناظرة الدوحة:

ولقد شهدتُ بمدينة الدوحة عاصمة قطر سنة (١٩٩٢م)، مناظرة حامية الوطيس بين العِلمانيِّين والإسلاميِّين، كان مُمثِّل العِلمانيِّين الدكتور فؤاد زكريا أستاذ الفلســفة، وكان مُمثِّل الإســلاميِّين الدكتور محمَّد عمارة، وكلاهما قَدِم من مصر.

وقد احتشــد لها عددٌ كبير، وأفرغ د. زكريا كلَّ ما عنده، ممَّا سمعناه منه من قبلُ فــي أكثر من مناســبة، وردَّ عليه د. عمــارة، بمنطق العالم المتمكِّن المحيط بالموضــوع من كلِّ جوانبه، فكشــفه أمام الجمهور، ورأينا شبهات زكريا تتهاوى أمام حُجج عمارة، وشاهدنا أباطيل السفسطة العِلمانيَّة تتساقط أمام حقائق الشــريعة الإسلاميَّة. وبقي زكريا في العَرَاء لا حُجَّــة له، وتركــه عمارة كســيرَ الجنــاح، مغلول الســلاح، منطفئ المصباح، فاقد الإصباح، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

* * *

(١) نيوزويك: العدد السنوي: ديسمبر سنة ٢٠٠١، فبراير سنة ٢٠٠٢م.

(٢) علمانية المدفع والإنجيل صـ ٣٢ ـ ٣٧.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٤

في مواجهة الغزو التنصيري

من الجبهات الَّتي تصدَّى لها بقوَّة د. محمَّد عمارة: جبهة «التنصير»، الَّتي كانت تُسمَّى قديمًا «التبشير»، ولكنَّ كلمة «التنصير» أحقُّ بهم، فهؤلاء لا يبشِّرون، وإنَّما ينصِّرون، أو هذا هو هدفهم. وهي في ظاهرها جهة دينيَّة؛ لأنَّها تعلن أنَّها تعمل لنشر النصرانيَّة في العالم، ونقل هداية المسيح إلى المحرومين منها، حتَّى يذوقوا طعم الإيمان، ويرفضوا «المادِّيَّة» الَّتي تقول: ليس للكون إلٰه، وليس للإنسان روح، وليس مع الدنيا آخرة! ويرفضوا كذلك النزعة الانحلالية، الَّتي لا تؤمن بالقيم الأخلاقيَّة، ولا بالعفَّة والإحصان. ويرفضوا كذلك الفلسفة «النفعيَّة»، الَّتي تركض وراء المتعة والمصلحة الشخصيَّة، المادِّيَّة الفردية العاجلة.

هذا ما يعلنه التنصير ويشيعه عن نفسه وهدفه، ولكن الواقع يكذِّب دعواه، ويثبت أنَّه غزوٌ جديد من الغرب ـ المتمسِّح بالنصرانيَّة ـ للشرق الإسلامي. لذا يعاونه الاستعمار أبدًا، ويوفِّر له الحماية والتأييد والمساندة. أو قل: هو لون جديد من الاستعمار، يتَّخذ «الدين» أداةً له. فالدين ليس غاية تقصد، بل وسيلة تتَّخذ، ومطيَّة تركب.

وممَّا يؤيِّد قولنا هذا: أنَّه بعد أن اجتمع ممثِّلو التنصير في «لوزان» بسويسرا سنة (١٩٧٤م) بهدف «تنصير العالم»، سرعان ما اجتمع ممثِّلوه

QaradawiBooks.com

في «كولورادو» بأمريكا سنة (١٩٧٨م)، بهدف «تنصير المسلمين في العالم»! كأنَّ المسلمين هم أوَّل المحرومين من الإيمان، المحتاجين إلى هداية المسيح!

ولو كانوا دعاة هداية دينيَّة حقًّا، لذهبوا إلى الأمم الهمجيَّة، الَّتي لا تعرف لها دينًا ينتسب إلى السماء، وإنَّما تعيش على أديان بدائيَّة، ووثنيَّات جاهليَّة.

أو يذهبوا إلى بلاد الملاحدة، الَّتي تدين بالإلحاد والمادِّيَّة، وتقول: ليس صوابًا أنَّ الله خلق الإنسان، بل الصواب أنَّ الإنسان هو الَّذي خلق الله!

أو عادوا إلى ديارهم ذاتها وردُّوا الناس إلى ديانتها الَّتي هجرها أهلها، حيث تقول الإحصائيَّات: إنَّ (٥٪) خمسة في المائة فقط ـ أو أقلَّ ـ من أهل أوربا، هم الَّذين يذهبون إلى الكنائس كلَّ يوم أحد، مع أنَّ الذهاب إلى الكنيسة ليس ـ بالضرورة ـ دليل تديُّن!

تصدَّى د. عمارة للتنصير، برغم جبروته وسلطانه، وما يملك من قوَّة التهديد والإغراء، بل من قوى متعدِّدة: القوَّة الماليَّة، والقوَّة العلميَّة، والقوَّة السياسيَّة، بالإضافة إلى قوَّة المكر والدهاء. وتجلَّى ذلك أظهر ما يكون في تعقيبه على مؤتمر كولورادو، وهو أخطر ما عقده التنصير من مؤتمرات في تاريخه باعترافهم أنفسهم.

أعلن عمارة في أكثر من كتاب له، ولا سيَّما في كتابه «الغارة الجديدة على الإسلام»، كأنَّما يجدِّد به الكتاب الَّذي أصدره العلَّامة محبُّ الدِّين الخطيب في أوائل القرن الماضي «العشرين»، الَّذي سمَّاه «الغارة على العالم الإسلامي».

QaradawiBooks.com

أعلن عمارة أنَّ الشـرق الإسـلامي، يتعرَّض من الغـرب الصليبي لحرب إبادة دينيَّـة، تهدف إلى تنصير جميع المسـلمين، وطيِّ صفحة الإسلام من الوجود.

كان مؤتمر «كولورادو» خطًّا فاصلًا في الكيد الجديد للإسلام وأمَّته، وقد غيَّروا الخطط القديمة، باستخدام خطط أخبث وأمكر، ووضعوا كلَّ خبرتهم، وثمرات علومهم الإنسـانيَّة والاجتماعيَّة واللسانية المتطوِّرة، ليصنعـوا «بروتوكولات» أشـبه بما أشـيع عن «بروتوكـولات حكماء صهيون»، الَّتي يكذِّبها الصهاينة ـ وأنا ممَّـن لم تثبت عندي ـ وإن كان الواقع يشهد بأنَّ هناك قوى تنفِّذها بالفعل.

يقوم مجمل هذه الخطة ـ لغزو العالم الإسلامي، وتغيير دينه، وتحويله من التوحيد إلى التثليث، ومن الإيمان بمحمد إلى الإيمان بيسـوع، ومن الإيمان بالقرآن الَّذي لم يتغيَّر منه حرف منذ عرف إلى اليوم، إلى الإيمان بالإنجيل الَّذي لا يعرف أين نسخته الأصلية ـ على عدَّة بنود:

١ ـ الهـرب مـن مقابلة الإسـلام وجهًا لوجـه، ومحاولة التسـلُّل والاختراق له من الداخل، في صبر وخبث ودهاء.

٢ ـ صبُّ المضامين النصرانيَّة في مصطلحـات قرآنيَّة، حتَّى قرَّروا طبع الإنجيل في صورة المصحف، وتسـمية فصوله سـورًا، وفقراته آيات، إلخ.

٣ ـ تنصير المسلمين من خلال الثقافة الإسلاميَّة.

٤ ـ توظيف الكنائس المَحَلِّيَّة في تنصير المسـلمين، فهم أقدر على مخاطبتهم بلسانهم.

QaradawiBooks.com

٥ ـ الاستعانة بنشر العِلمانيَّة، والفلسفات المادِّيَّة والمذاهب الإلحاديَّة، لتكسر الصلابة الإيمانيَّة عند المسلمين.

فهؤلاء قوم غزاة طامعون مدرَّبون، يريدون غزو أمتنا في عقر دارها، ويطمعون أنْ يُسلبوها أعزَّ ما تملك، وأغلى ما عندها، إنَّهم يريدون أنْ يسلبوها دينها وعقيدتها.

وهم لا يفعلون ذلك عادةً، جهارًا نهارًا، فلهذا يتسلَّلون تسلُّل اللصوص في جُنْح الظلام، لا يعلنون بصراحة عن أنفسهم، بل يتستَّرون تحت عباءات شتَّى يَلبسونها: الإغاثة، وعمل الخير، ومساعدة الفقراء والأيتام، ومداواة المرضى، وما إلى ذلك. فينصبون شباكهم للأميين والفقراء من الناس، ويضلِّلونهم حتَّى يقعوا فرائس كيدهم.

وقد وقف حارس الأُمَّة المرابط اليقظ محمَّد عمارة لهم بالمرصاد، ليكشف أهدافهم، ويفضح طرائقهم، ويحذِّر الأمة من مكرهم، مبيِّنًا للجميع أنَّ هؤلاء يستخدمون الأساليب «الميكافيليَّة ـ اللاأخلاقيَّة».

الاستعمار يصنع الضحايا والتنصيرُ يتلقَّفُهم:

يقول: «إنَّ التنصير والمُنصِّرين لا يقفون عند حدود تحويل عدد من المسلمين من عقيدتهم الإسلاميَّة إلى عقيدتهم النصرانيَّة، بل يتجاوز الأمر هذه الحدود إلى بعد أكبر، وميادين أوسع.

فالتنصير ـ في حقيقته ـ إنَّما يعتمد على «الإكراه»، أكثر ممَّا يعتمد على «حرية الاعتقاد»، وذلك عندما يعمل المُنَصِّرون في ركاب الغزاة الغربيِّين لبلاد الإسلام، مُستظلِّين بحمايات قوات الاحتلال، وشركات الاستغلال، فيصنع الغزوُ الكوارث الَّتي تُخِلُّ بتوازنات الضحايا، ليأتي

QaradawiBooks.com

المُنَصِّرون فيُقَدِّموا المساعدات باسم «يسوع»، وليُحَوِّلوا ضحايا الغزو عن دينهم ودين آبائهم، لقاء كِسْرة خبر، أو جَرْعة دواء! حدث ذلك مع ضحايا حرب البوسنة والهرسك (١٩٩٢ ـ ١٩٩٥م) وهو يحدث الآن في العراق وأفغانستان وكشمير والشيشان والصومال والسودان، وبين اللاجئين المسلمين الَّذين يكوِّنون معظم اللاجئين على النطاق العالمي!

فالغزو يصنع المناخ البائس، والضاغط والكريه؛ ليأتي التنصير لالتقاط ضحايا البؤس والإكراه!

والتنصير الغربي يعمل ليس فقط بالاعتماد المتبادل مع جيوش الغزو الاستعماري؛ وإنَّما يعمل ـ أيضًا ـ بالاعتماد المتبادل مع الكنائس المَحَلِّيَّة في البلاد الإسلاميَّة، فيخرج هذه الكنائس عن «وطنيَّتها»، ويقودها إلى خيانة حضارتها وأمَّتها وتاريخها، ومن ثمَّ يزرع بذور التوتر الديني، والفتن الطائفيَّة الَّتي تشيع «الفوضى الخلَّاقة»، الَّتي تجهض النهوض الحضاري في مجتمعات الإسلام!

التنصير ينشر العِلمانيَّة والفلسفات المادِّيَّة والإلحاديَّة واللاأدريَّة:

والتنصير ـ الذي يدعو أصحابه إلى التديُّن بالنصرانيَّة ـ هو الَّذي يقيم ـ ومعه الكنائس المَحَلِّيَّة ـ حلفًا غير مقدَّس مع الشرائح العِلمانيَّة في المجتمعات الإسلاميَّة، تلك الَّتي صنعها الاستعمار على عينه، والَّتي تضخِّم من حجم ودور الأقليات غير المسلمة في بلادنا، لتضخِّم العقبات أمام المشروع الإسلامي، واستكمال الأمة لمقوِّمات هويَّتها الإسلاميَّة!

بل إنَّ التنصير والمنصِّرين ـ رغم رداء الدين الَّذي يلبسون ـ يشجِّعون نشر الفلسفات المادِّيَّة والإلحاديَّة في بلاد الإسلام، باعتبارها

QaradawiBooks.com

عقبات في سبيل سيادة الإسلام في المجتمعات الإسلاميَّة، والذين يلاحظون الحجم الكبير لأبناء الأقليَّات غير المسلمة في التنظيمات الَّتي تعتنق الفلسفات المادِّيَّة والإلحاديَّة، ويلاحظون مباركة الكنائس ودوائر التنصير لهذه الظاهرة، يدركون مغزى هذا الحلف غير المقدَّس، بين نصرانيَّة هؤلاء المنصِّرين، وبين المذاهب المادِّيَّة والفلسفات الإلحاديَّة، عندما يكون الهدف هو إعاقة سيادة الإسلام وحاكميته في بلاد المسلمين!

كذلك يعتمد التنصير ـ كما قال المُنصِّر الشهير «صموئيل زويمر» (١٨٦٧ ـ ١٩٥٢م) ـ على مذاهب الشكِّ واللاأدريَّة، لتشكيك المسلمين في دينهم، إذا لم تنجح حملات التنصير في تحويلهم إلى النصرانيَّة بدلًا من الإسلام»[(١)]!

وينصح الدكتور عمارة هؤلاء المنصِّرين الَّذين يريدون أنْ يهدوا المسلمين، بما نصحتهم به في بعض كتبي: أن يعملوا بالحكمة الإسلاميَّة الَّتي تقول: ابدأ بنفسك. فهو يرشدهم أنْ يرتِّبوا بيتهم النصراني أولًا، أي يعيدوا النصارى إلى النصرانيَّة الَّتي يتفلَّتون منها، حتَّى إنَّ الكنائس تغلق أبوابها؛ لأنَّه لا يزورها أحد، ولذلك يضطر كثير من رجالها أنْ يبيعوها للمسلمين، فيحوِّلوها إلى مساجد أو مراكز إسلاميَّة!

وقد استطاع الدكتور عمارة بتتبُّعه للمصادر الغربيَّة الدراسيَّة والإعلاميَّة أن يُبَيِّن إفلاس رجال الكنائس الغربيَّة في الإبقاء على المتديِّنين من قومهم، فأرادوا أن يستعيضوا عن هذه الخسائر بمحاولة تنصير المسلمين.

(١) انظر: الفارق بين الدعوة والتنصير صـ ٣ ـ ٥، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠١١م.

QaradawiBooks.com

وإنَّ المرء ليعجب مع د. عمارة من هؤلاء الَّذين عجزوا عن الحفاظ على الحدِّ الأدنى من المسيحيِّين في ديارهم، كيف يطمعون أنْ ينصِّروا أمة كبرى، تؤمن بأنَّها وحدها هي الَّتي تمثِّل التوحيد الخالص، وتحفظ مواريث النبوَّات، ووصايا كتب السماء، وتعتقد أنَّها تحمل رسالة الرحمة العامَّة للبشرية، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وأنَّها الأمة الوسط، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [البقرة: ١٤٣]، وأنَّها تمثل: ﴿خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وأنَّ رسولها هو خاتم النبيِّين، وأنَّها الشهيدة على الناس جميعًا؟!

إنَّنا هنا نتمثَّل بقول شاعر النيل:

يا ساكِنَ البَيْتِ الزُّجَا ... جِ هُبِلْتَ! لا تَرْمِ الحُصُونَا!
أرأيْتَ قَبْلَكَ عَارِيًا ... يبغي نِزَالَ الدَّارِعِينَا[1]**؟**

يقول د. عمارة: «إنَّ هذا المخطط التنصيري يعترف بأنَّه ـ في سبيل تنصير المسلمين ـ يلجأ إلى «الميكافيليَّة»، وتنحية القيم والأخلاق! فهم يعلنون عزمهم على: اختراق القرآن، بدلًا من مواجهته! وصبِّ المضامين النصرانيَّة في مصطلحاته وتأويلاته! وكذلك العمل من خلال الثقافة الإسلاميَّة!

وفي ذلك يقولون: من الممكن في بعض الأحوال الذهاب أبعد فيما يتعلَّق باستعمال المصطلحات القرآنيَّة، مع اهتمامٍ خاصٍّ إلى الثقافات الإسلاميَّة، وتكييف اللُّغة لحروفٍ خاصَّة، واستعمال الألقاب التبجيليَّة والتعبيرات القرآنيَّة. وذلك مثل استخدام «بولس الرسول» للإلٰه الإغريقي المجهول!

(١) من شعر حافظ إبراهيم، كما في ديوانه (١٤٨/١)، تحقيق أحمد أمين بك وأحمد الزين وإبراهيم الإبياري، نشر المطبعة الأميرية، القاهرة، ط ٣، ١٩٤٨م.

QaradawiBooks.com

وكذلك إيقاع الأطفال ـ غير المُمَيِّزين ـ في حبائلهم.

وفي ذلك يقولون: وتسعى «رابطة تنصير الأطفال» و«إرساليَّة الخدمات الخاصَّة» لاستمالة الأطفال إلى جانب المسيح، عن طريق تنظيم اجتماعات الأطفال وتجمعاتهم في مدرسة يوم الأحد، وتقديم الوسائل السمعيَّة والبصريَّة لتشجيع الأطفال على تسليم أرواحهم للمسيح!

فبعد اصطياد الضحايا الَّذين أخلَّت الكوارث بتوازنهم، يصطادون الأطفال قبل سنِّ التمييز! بل إنَّ هذه المنظمات التنصيريَّة تمارس ـ تحت لافتات المنظمات الخيريَّة والإغاثيَّة ـ عمليات خطف الأطفال لتنصيرهم، حدث ذلك إبَّان حرب البوسنة والهرسك (١٩٩٢ ـ ١٩٩٥م)، وأثناء كارثة الـ «تسونامي» الَّذي أصاب إندونيسيا المسلمة سنة (٢٠٠٦م)، ومع أطفال دارفور السودانيِّين، وأطفال تشاد. ولقد تفجَّرت أحدث فضائح اختطاف جمعية «ارش دو زوي» الفرنسية للأطفال المسلمين التشاديِّين في نوفمبر سنة (٢٠٠٧م)، وأحدثت أزمة مكتومة بين تشاد وفرنسا.

كما اشتكى من هذه «النخاسة التنصيريَّة» الرئيس السوداني عمر البشير يوم (١٤ نوفمبر سنة ٢٠٠٧م)، وأذاعت ذلك كلَّه أجهزةُ الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية.

كما يعترف هؤلاء المُنصِّرون بأنَّ الإرساليَّات التنصيريَّة تعتبر أنَّ نموَّ المادِّيَّة والعِلمانيَّة قد يؤدِّي إلى تخفيف حدَّة العداء لتنصير المسلمين! فيتوسَّلون إلى تنصير المسلمين حتَّى بالكفر والجحود والإنكار لمطلق الدين!

QaradawiBooks.com

ولقد رفضوا الالتـــزام «بالحُرِّيَّة والإقناع» في عمليَّـــة التنصير، ولم يســـتبعدوا «الجهود القسريَّة» في تحويل المســـلمين عن دينهم، وعلَّقوا على بيانات «مجلس الكنائس العالمي» الَّتي تتحدث عن الحوار والحرية والإقناع، فقالـــوا: إنَّ المجلس لا يـــرى الحوار بديلًا عـــن تحويل غير النصارى إلى النصرانيَّة، بل ربَّما كان الحوار مرحلة من مراحل التنصير، وإنَّ هذه البيانات الجديدة لا تعني تخلِّي المجلس عن مواقفه المناصرة للجهود القســـريَّة والواعيـــة، والمتعمَّدة والتكتيكيَّة لجـــذب الناس من مجتمع ديني ما إلى آخر»[١][٢].

الفارق بين الدعوة إلى الإسلام والتنصير الغربي:

يذكر د. عمارة ـ ردًّا على الَّذين يقولون: لماذا لا يســـمح المسلمون لنا بالتنصير في بلادهم، كما نسمح لهم بالدعوة في بلادنا؟ ـ بأنَّ هناك فوارق بين الدعوة إلى الإســـلام والتنصير الغربي بيَّنه فـــي عدَّة أمور، نلخصها فيما يلي:

أولًا: أنَّ الدين في المجتمعـــات العِلمانيَّة ليس أساسًـــا في بنيانها، ولا ركنًا من أركانها، فهي تقوم بغيـــره ولا تحتاج إليه، وفقًا لقاعدة: دعْ ما لقيصر لقيصر، وما لله لله. فهي ترضى بقسمة المجتمع بين الله تعالى وقيصر، وتقبل قيصرًا شريكًا له.

أما المجتمع المســـلم، فلا يقبل بطبيعة تكوينـــه العقائدي والفكري هذه القســـمة، ويرى أنَّ قيصرَ وما لقيصر لله الواحـــد الأحد، فللّه ما في

(١) انظر في ذلك كله: وثائق مؤتمر كولورادو، وكذلك كتاب د. عمارة: الغارة الجديدة على الإسلام، القاهرة، ١٩٩٨م، والسيد ولد أباه ـ جريدة الشرق الأوسط، لندن، في ٢٣ نوفمبر ٢٠٠٧م.

(٢) انظر: الفارق بين الدعوة والتنصير صـ ٢٢ ـ ٢٦.

QaradawiBooks.com

السماوات والأرض، ومن في الســماوات والأرض، مُلكًا ومِلكًا، ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ قُل لِّلَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢].

ومن هنا كان الدين داخلًا في بناء الدولة، لا يستطيع الانفصال عنه، ولا البراء منه، ولا التخلّي عن إقامته ورعايته، والتمكين له في الأرض، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الحج: ٤١].

ثانيًا: أنَّ الدعوة إلى الإسلام، لم يكن لها طوال التاريخ مؤسَّسات رســمية تموِّلها، وتتبنَّاهــا دول ومجالــس ومنظَّمات كبــرى، كدولة الفاتيــكان، والمجلس الأعلــى للكنائس في أمريــكا، وغيرها. تتبعها جيوش جرَّارة من المنصِّريــن والمُنَصِّرات. إنَّما الَّــذي يقوم بالدعوة أفراد، ربَّما لم يكونوا مؤهَّلين قط من الناحيــة العلميَّة، كما عرفنا من التاريخ كيف دخل الإسلام إلى أكبر بلد إسلامي اليوم في العالم، وهي إندونيســيا، ومثله ماليزيا. فلم يدخل الإسلام إليه إلَّا عن طريق التُّجَّار الحضارمة وأمثالهم. ومثل هذه الدعوة من هؤلاء الأفراد لا تُمَثِّل خطرًا على دين أو مجتمع.

ثالثًا: أنَّ التنصير ليس مجرَّد دعوة إلى النصرانيَّة، بل أمسى أداةً من أدوات الغزو الفكري الغربي، لتغريب أمم الشــرق، والمسخ الحضاري لأُمَّة الإسلام.

وقد شــاهدنا تنصير قطاعات كبيرة من البلاد الإســلاميَّة، بواسطة الحماية الاســتعماريَّة للمنصِّرين، كمــا حدث في الفلبين وإندونيســيا والجزائر.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

وكما نرى ذلك ماثلًا للعيان فيما يجري على أرض العراق وأفغانستان والشيشان والسودان والصومال. وهو ما يعتبر جزءًا من الحرب الاستعماريَّة الغربيَّة المعلنة على عالم الإسلام، وأمة الإسلام، وحضارة الإسلام.

رابعًا: أنَّ دعوة المسيحيِّين الغربيِّين إلى الإسلام تعتبر إضافة إلى ما عندهم وليست انتقاصًا منه، فهي إمَّا أن تنقل ماديًّا ملحدًا من الإلحاد إلى الإيمان بالله ورسالاته، وإلى الإيمان بالآخرة والقيم الأخلاقيَّة، وهذا لا يضرُّ المتدينين من رجال الكنيسة شيئًا.

وإمَّا أن تنقل نصرانيًّا ـ ومثله اليهودي ـ إلى الإسلام، وهو في هذا يضيف إلى دينه ولا ينتقص منه؛ لأنَّه سيضيف إلى إيمانه بموسى وبالمسيح: إيمانه بمحمد. وإلى إيمانه بالتوراة والإنجيل: إيمانه بالقرآن. إنَّه ـ كما يقول د. عمارة ـ صعود درجة على (سُلَّم) النبوَّات والرسالات والكتب والشرائع.

ويضرب د. عمارة لذلك مثلًا، فيقول: إنَّ اليهوديَّ هو أشبه ما يكون إزاء الديانات السماويَّة بالحاصل على «شهادة الإعداديَّة»؛ فإذا دخل النصرانيَّة كان كمن أضاف «شهادة الثانويَّة» إلى «الإعداديَّة»؛ فإذا دخل النصراني إلى الإسلام كان كمن أضاف «الشهادة الجامعيَّة» إلى «الإعداديَّة» و«الثانويَّة»[1].

لماذا منعت بعض الحكومات الإسلاميَّة التنصير في بلادها؟

دافع د. عمارة عن قرارات بعض الحكومات العربيَّة والإسلاميَّة، من منع مؤسَّسات التنصير الرسميَّة من العمل في بلادها، وخصوصًا في

(١) انظر: الفارق بين الدعوة والتنصير صـ ٣٢.

QaradawiBooks.com

المجتمعات الفقيرة والضعيفة. وأنا معه في هذا الموقف مائة في المائة. كما فعلت الحكومة الجزائريَّة حين حظرت على المؤسَّسات التنصيريَّة العمل في مناطق الأمازيغ (البربر: تيزي وزو) وما حولها؛ لأنَّ المُنَصِّرين يستغلُّون جهل الأميِّين، وفقر المساكين، لفتنتهم عن دينهم وهم لا يشعرون. فهذا من قبيل حماية الصناعات الوطنيَّة الضعيفة أمام المؤسَّسات الصناعيَّة العملاقة، وعدم تكافؤ الفرص، ولو لم تفعل ذلك لم تقم قائمة لأيِّ صناعة وطنيَّة ناشئة.

إنَّ من واجب الدولة الوطنيَّة أو القوميَّة أن تحمي أوطانها وشعوبها من مؤسِّسات الهيمنة السياسيَّة الغربيَّة، والمؤسَّسات الدينيَّة الكبرى المدعومة بالمال والعلم والدهاء، مثل الفاتيكان، والمؤسسات الكاثوليكية، ومجلس الكنائس العالمي المؤيَّد بالقوة الأمريكيَّة.

ماذا يملك دعاة التنصير؟

يورد لنا د. عمارة في مستنداته للوقوف في وجه الغزوة التنصيريَّة: ما رصدته «النشرة الدوليَّة لبحوث الإرساليَّات التنصيريَّة» سنة (١٩٩١م)، عمَّا تملكه إرساليَّات التنصير الأمريكي وحدها من إمكانات، فماذا تملك؟

- جيش فيه: (١٢٠,٠٠٠) مائة وعشرون ألف مؤسَّسة تنصيريَّة.
- (٩٩,٢٠٠) تسعة وتسعون ألفًا ومائتا معهد لتأهيل المُنَصِّرين الرسميِّين وتدريبهم.
- (٤,٢٠٨,٢٥٠) أربعة ملايين ومائتان وثمانية آلاف ومائتان وخمسون منصِّرًا رسميًّا محترفًا.

QaradawiBooks.com

- (٨٢,٠٠٠,٠٠٠) اثنان وثمانون مليونًا من أجهزة الكومبيوتر.
- (٢٤,٩٠٠) أربعة وعشرون ألفًا وتسعمائة مجلة.
- (٢,٣٤٠) ألفان وثلاثمائة وأربعون مِحَطَّة للإذاعة والتلفاز.

ولقد أصدرت هذه المؤسسة التنصيريَّة ووزعت، في عام واحد: (٨٨,٦١٠) ثمانية وثمانين ألفًا وستَّمائة وعشرة كتاب تنصيري.

وفي مدارس هذه الإرساليَّات التنصيريَّة يدرس: (٩,٠٠٠,٠٠٠) تسعة ملايين طالب في رياض الأطفال وحدها، يدرسون في (١٠,٦٧٧) عشرة آلاف وستمائة وسبعة وسبعين مدرسة.

ولقد خصَّ إفريقيا وحدَها من مؤسَّسات هذه الإرساليَّات التنصيريَّة: (١٤,٠٠٠) أربعة عشر ألف مُنَصِّر محترف، و(١٦,٠٠٠) ستَّة عشر ألف معهد للتنصير، و(٥٠٠) خمسمائة مدرسة لاهوتيَّة، و(٦٠٠) ستُّمائة مستشفى.

أمَّا ميزانيَّة هذا «الجيش التنصيري» فإنَّها تبلغ (١٦٣) مليارًا من الدولارات.

ودخل الكنائس العاملة في هذا الحقل هو (٩٣٢٠) مليارًا من الدولارات.

وهذا «الجيش التنصيري» الأمريكي يقوده «معهد زويمر» ـ الَّذي أقيم سنة (١٩٧٨م) ـ ليمثل «المخ والجهاز العصبي» للحملة الأمريكيَّة لتنصير المسلمين!

فهل هناك ذرَّة من التوازن بين هذا الجيش ـ الَّذي يمثل الكنيسة الأمريكيَّة وحدها ـ وبين الأفراد المسلمين الَّذين يدعون إلى الإسلام؟!

QaradawiBooks.com

وهل يصح أن تستنكر إجراءات «الحماية» الَّتي تمنع «التنصير الرسمي» في البلاد الإسلاميَّة المستضعفة إزاء هذا الاجتياح؟!

غير مرخصة للطباعة

ثمَّ إنَّ الاجتياح التنصيري لا يخفى أنَّه يعمل بالاعتماد المتبادل مع قوى أخرى عاتية، ففي «مؤتمر كولورادو» ـ الَّذي عقدته الكنائس الأمريكيَّة سنة (١٩٧٨م)، لرسم الخطة الجديدة لتنصير المسلمين ـ أعلنوا أنَّهم إنَّما يعملون على تنصير المسلمين بالاعتماد المتبادل مع الكنائس المَحَلِّيَّة، وتنصُّ توصيات هذا المؤتمر: «يجب أنْ يتمَّ كسب المسلمين عن طريق مُنَصِّرين مقبولين داخل مجتمعاتهم، ويُفضَّل النصارى العرب في عمليَّة التنصير»!

كما يعمل هذا الاجتياح التنصيري بالاعتماد المتبادل مع المدِّ الاستعماري الغربي في ديار الإسلام، فالجيوش الَّتي زحفت على العراق ـ في مارس سنة (٢٠٠٣م) ـ قد دخل في ركابها (٨٠٠) ثمانمائة مُنَصِّر من عتاة قساوسة اليمين الديني الأمريكي، معلنين ـ كما جاء في صحيفة «نيوزويك» الأمريكيَّة ـ أنَّهم قد جاؤوا لنشر المسيحيَّة في بغداد!

وفي هذه البلاد الَّتي ابتليت بالغزو الاستعماري، يصنع الاحتلال الكوارث الَّتي تخلِّف وراءها الضحايا والمنكوبين، ليأتي المنصِّرون، فيُقَدِّموا كِسْرَة الخبز وجرعة الدواء!

وتنصُّ وثائق «مؤتمر كولورادو»: «إنَّه لكي يكون هناك تحوُّل إلى النصرانيَّة، فلا بدَّ من وجود أزمات ومشاكل، وعوامل تدفع الناس خارج حالة التوازن الَّتي اعتادوها ـ كالفقر والمرض، والكوارث والحروب، والتفرقة العنصريَّة والوضع الاجتماعي المتدنِّي ـ وإنَّ إحدى معجزات عصرنا أنَّ احتياجات كثير من المجتمعات الإسلاميَّة قد جعلت حكوماتها أكثر تقبُّلًا للنصارى والمنصِّرين!

QaradawiBooks.com

فالاستعمار يصنع الكوارث في البلاد الإسلاميَّة، والتنصير يستغلُّ هذه الكوارث ـ الَّتي يَعُدُّها المُنَصِّرون «معجزة العصر» ـ كي يبيع الضحايا إسلامهم لقاء كِسْرة خبز أو جرعة دواء! وعلى أرض كثير من البلاد الإسلاميَّة الَّتي اجتاحتها الجيوش الاستعماريَّة ـ وفي معسكرات ومخيَّمات اللاجئين المسلمين، الَّذين يُمَثِّلون أغلبيَّة اللاجئين على نطاق العالم ـ يتمُّ هذا المُخَطَّط للتنصير، في أفغانستان، والعراق، والسودان، والصومال، والشيشان، وداغستان، وإندونيسيا، والفلبين، إلخ.

كذلك يعمل هذا الاجتياح التنصيري بالاعتماد المتبادل مع ركائزه الَّتي أقامها في البلاد الَّتي احتلَّتها جيوش بلاده الاستعماريَّة، وكنموذج لذلك كوريا الجنوبية، فلقد احتلتها الجيوش الأمريكيَّة عقب الحرب العالمية الثانية، وحوَّلتها إلى قاعدة عسكريَّة أمريكيَّة.

ثم جاءت الكنيسة الأمريكيَّة لتنصِّر ربع سكان كوريا الجنوبية، ولتجعل من «كنيسة صايمل» ـ التابعة لليمين الديني الأمريكي ـ «قاعدة دينيَّة» تزامل القاعدة العسكريَّة! وليعمل المُنَصِّرون الكوريُّون مع المُنَصِّرين الأمريكيِّين جنبًا إلى جنب ـ وبتمويل أمريكي ـ حتَّى لقد بلغ عدد المُنَصِّرين الكوريين الرقم التالي ـ على النطاق العالمي ـ لعدد المنصِّرين الأمريكيين!

ولقد أرسلت هذه الكنيسة الكوريَّة إلى البلاد الآسيويَّة وحدها (١٦٠٠٠) مُنَصِّر، كان نصيب البلاد الإسلاميَّة منهم (٢٥٪) من هؤلاء المُنَصِّرين الكوريِّين! بل لقد امتدَّ نشاطهم إلى القارة الإفريقيَّة، وإلى مصر ـ بلد الأزهر الشريف ـ فنشرت صحيفة الأهرام في (١٠ سبتمبر

QaradawiBooks.com

٢٠٠٧م) أنَّ هؤلاء المُنَصِّرين يعملون ـ تحت لافتات أخرى ـ في عشر محافظات مصريَّة!!

كذلك يعمل هذا الجيش التنصيري العالمي ـ باعتراف وثائق مؤتمر كولورادو ـ بالاعتماد المتبادل مع «العمالة المدنيَّة» الغربيَّة المنتشرة في مختلف بلاد الإسلام، وهي العمالة الَّتي يفوق عددها عدد المنصِّرين الرسميين مائة ضعف! فيدربها المُنَصِّرون الرسميون على التنصير في معسكرات مُنَظَّمة، ويوجِّهونها إلى تنصير المسلمين، وخاصَّة في البلاد الإسلاميَّة الَّتي لا تفتح أبوابها للمُنَصِّرين الرسميِّين[1]!

* * *

(١) انظر: الفارق بين الدعوة والتنصير صـ ١٩ ـ ٢٤.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٥

في مواجهة التيار الماركسي

ومن الثغور الَّتي رابــط عليها الدكتور عمارة: مواجهة الماركســيَّة، بفكرتها المادِّيَّة التاريخيَّة، وماديتها الجدلية، ومناداتها بالصراع الطبقي، ومضادَّتها للدِّين الَّذي وصفته بأنَّه أفيون الشــعوب! وصولًا إلى الثورة العامَّة، الَّتي تقتلع جذور الرأسماليَّة والبرجوازية، والأفكار الغيبية؛ لتقيم دكتاتورية البروليتاريا، الَّتي ستقيم جنَّة الأرض بدلًا عن الجنة المزعومة في الســماء. هذه الفكرة الَّتي نســفت فكرة الألوهيَّة والوحي والآخرة وثبات القيم، والَّتي لقيت في المنطقة العربيَّة في فترة من الفترات سوقًا نافقة، واســتهوت بعض الشــباب، لوقوفها في وجه الاستعمار الغربي، والإمبرياليَّة الأمريكيَّة. ولمناداتها بإنصاف الطبقات الكادحة والمسحوقة، وتوسيع آفاق العدالة الاجتماعيَّة، وتقليم أظفار الرأسماليَّة المتوحِّشة.

حتَّى إنَّ الدكتور عمارة نفسه تأثَّر بأفكارها في مرحلة من شبابه، ممَّا جعله يدخل الســجن، ويتأخَّر عــن التخرُّج عدَّة من الســنوات. ولكنَّ جذوره الإســلاميَّة العميقة، وحفظه للقرآن من صغره، ودراسته الشرعيَّة في معاهد الأزهر، وفــي كلية دار العلوم أنقذته من الاســتمرار في هذا الاتجــاه، وردَّته إلى مكانــه الطبيعي في حمل دعوة الإســلام، ونصرة دعوته، والذود عن شريعته وحضارته وأمته. بل إنَّ هذه الفترة الَّتي خرج

QaradawiBooks.com

فيها عمارة عن خطِّه الأصلي، زوَّدته بخبرة عمليَّة عن هذه التيارات، وموقفها من الإسلام، وأساليبها في محاربته، ومفاهيمها في نشر الفكرة، واصطياد الناس لضمِّهم إلى صفوفهم.

عرف د. عمارة ـ عن خبرة وممارسة ـ أهداف الماركسيين القريبة والبعيدة، والثقافيَّة والسياسيَّة، وبرامجهم الفكرية والتربوية، وموقفهم من الدين عامَّة، ومن الإسلام خاصَّة، واستخدم هذه المعرفة في كشف سوءات القوم، ومدى جهلهم بحقائق الإسلام، وتبنِّيهم لأباطيل خصومه، وبيَّن بقلمه البارع: أنَّهم حين يتحدَّثون عن الإسلام، إنَّما يتحدَّثون عن خصم لا يحسنون معرفته، وأنَّهم يقيسونه على الأديان الأخرى، وهو قياس مع الفارق؛ لأنَّ مصادره غير مصادرها، ومقاصده غير مقاصدها، ووسائله غير وسائلها، وتاريخه غير تاريخها، ورجاله غير رجالها، وآثاره غير آثارها!

انظر: كتابه «التفسير الماركسي للإسلام»، فهو يدلُّك على مقدار درايته بالقوم، ومنظومتهم الفكرية.

إنَّه لا يتحدَّث عن القوم حديث ضيف على مائدتهم الفكرية، وإنَّما يتحدَّث حديث رجل قد عرف مشاربهم، وأدرك مصطلحاتهم، ونفذ إلى غاياتهم وأهدافهم.

وقد ناقش في كتابه هذا الدكتور نصر أبو زيد ـ أحد المنظرين للفكر الماركسي، وأحد أركانه في مصر ـ مناقشة هادئة، مستخدمًا أسلحته المعهودة في مثل هذه المناقشات، وهي الحجة القوية، والبصيرة النافذة، والمنطق السليم، والبيان الواضح، مع تعدُّد علومه ومعارفه.

QaradawiBooks.com

وفنَّد الكثير من شبهات الماركسيَّة الجدلية بالأدلة الدامغة، وكشف أباطيلها الَّتي لم تصمد أمام نور الحق، وبرهان اليقين.

ولم يكن الدكتور عمارة يلقي الاتهامات جزافًا، وإنَّما سار على منهج علمي رصين، يأتي بقول الخصم بنصِّه، دون بتر أو تدخل، ويقارنه بالآيات المحكمات؛ ليدع القارئ أمام ذلك التناقض الواضح بين ما عرف من دين الإسلام وتواترت به الآيات، وبين تُرَّهات (اجتهادات) الدكتور نصر.

ومع ما أحدثه حكم محكمة استئناف القاهرة، دائرة الأحوال الشخصيَّة[1]، والَّذي قضت فيه بالتفريق بين الدكتور نصر وزوجته الدكتورة ابتهال يونس؛ تأسيسًا على ثبوت ارتداده عن دين الإسلام، وهو الحكم الَّذي أحدث دويًّا في العالم أجمع.

فقد أعلن الدكتور عمارة: «إنَّ قضية الدكتور نصر أبو زيد هي قضية فكرية، مجالها الحوار الفكري والمختصون فيها هم المفكرون والباحثون. وهي ليست قضية قانونية، يختص بها المحامون ودوائر القضاء»[2].

وأكَّد أنَّه ضد مصادرة كتبه؛ لأنَّ المصادرة سلاح من لا يستطيع بيان الحق الَّذي عنده، ودفاع من لا يستطيع بيان زيف شبهات خصومه ومناوئيه.

ويرى دكتور عمارة أنَّ «علينا أن نحارب الكفر والمروق والنفاق بسلاح الكلمة، والحجة والبرهان، وليس بمصادرة الفكر... إنَّني أستحث المفكرين الإسلاميِّين للردِّ الفكري على ما يرونه مخالفًا لثوابت الإسلام

(١) في الاستئناف رقم (٢٨٧) في (١٩٩٥/٦/١٤م).

(٢) التفسير الماركسي للإسلام للدكتور محمد عمارة صـ ٩، نشر دار الشروق، ط ٢، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

QaradawiBooks.com

في المشـــروعات الفكرية الأخرى، وليكن احتكامنـــا جميعًا إلى الأُمَّة، فمن معه الحق لا يخشى الاحتكام إلى الأُمَّة»[١].

وأعلن الدكتور عمارة التصدي لأعمال نصـــر أبو زيد بوضعها أمام مجهر قسط؛ ليكشـــف كم بلغ الماركســـيون من الجرأة؛ حتَّى اجتاحوا مقدســـات المســـلمين، وتركوا العنان لرموزهم؛ ليخوضـــوا في عقائد الإسلام، ومصادر تشريعه.

فلم يســـلم القرآن الكريـــم من ســـخافاتهم، ولا النبـــي الخاتم من تطاولهم، ولا رموز المسلمين وعظمائهم من الاتهام والتضليل.

هكذا كان التفسير المادي إمامًا، وهكذا كانت الرؤية الجدلية دليلًا، نحو معالم طمس الحقائق الإيمانيَّة، واختزال الدين الإســـلامي الخالد، بعقائده وتشـــريعاته، وآدابه وسلوكه، وقرآنه وسُـــنَّته، وما استقرت عليه أفهام المسلمين عبر أربعة عشر قرنًا من الزمان، فيما سُمِّي بالمعلوم من الدين بالضرورة ـ ليجعل المادِّيَّة الماركسيَّة ومنطقها الجدلي بديلًا عن كل ذلك، ويجعل «الواقع أوَّلًا، والواقع ثانيًا، والواقع أخيرًا»[٢].

د. عمارة والرد على الفكر الماركسي عند نصر أبو زيد:

١ ـ حقيقة الماركسيَّة:

في الوقت الَّذي يدافع فيـــه الدكتور نصر أبو زيد عن الماركســـيَّة، محاولًا أنْ يخفي العداء الأزلي بينها وبين الدين والعقيدة ـ أي دين وأي عقيـــدة ـ متَّهمًا الخطـــاب الديني بأنَّه يختزل الماركســـيَّة فـــي الإلحاد

(١) التفسير الماركسي للإسلام صـ ١٠، ١١.

(٢) نقد الخطاب الديني صـ ٩٩، نشر دار سينا للنشر، ط١، ١٩٩٢م.

QaradawiBooks.com

والمادِّيَّة، بينما يوهم أنَّ عداء الماركسيَّة إنَّما هو للفكر الديني والتأويل الرجعي للدين[١]. ويدَّعي أنَّ تصنيف الشـيوعيَّة في المذاهب الإلحاديَّة «فهم عامِّي مُبتذَل، بحكم أيديولوجيَّة التشويه للشيوعيَّة»[٢].

نجد الدكتور عمارة يكشـف زيـف هذا الادعاء الَّـذي يهدف إلى تجميل الماركسـيَّة، وتبييـض وجهها في عيون مـن لا يعرفونها، ومن لا يتقبلون مبادئها، ويضـع الدكتور عمارة قول نصـر أبو زيد هذا أمام أقوال رموز الماركسـيَّة ومؤسسيها، فإنَّ نصوص فلاسـفتهم وعلمائهم شاهدة على العداء القائم بين الماركسيَّة والدين ذاته، ومعه كل الفلسفات الَّتي تؤمن بما وراء الطبيعة والمادة.

يقول مراد وهبة، أحد أسـاتذتها في مصر: «المادة مستكفية بنفسها، مستغنية عن خالق يوجدها»[٣].

ويقـول لينين: «إنَّ أي دفـاع أو تبرير لفكرة الله ـ مهمـا كان جيدًا، ومهما حسنت نواياه ـ هو تبرير للرجعيَّة»[٤].

وما أشـهر المقولة الماركسـيَّة: إنَّ الشـعوب في لحظات الضعف اخترعت الآلهة، وفي لحظات القوة حطَّمتها.

ويُبَيِّن الدكتور عمارة حقيقة الماركسيَّة المادِّيَّة، الَّتي لا تعترف بما وراء الطبيعـة، فالمـادة والواقـع ـ الاقتصـادي، والاجتماعـي،

(١) نقد الخطاب الديني صـ ٣٥.
(٢) التفكير في زمن التكفير صـ ١٣١، نشر مكتبة مدبولي، ط ٢، ١٩٩٥م.
(٣) المعجم الفلسفي مادة (مادي) (مذهب).
(٤) الموسوعة الفلسفية ترجمة سمير كرم مادة (تشييد الله).

QaradawiBooks.com

والفسيولوجي ـ هما مصدر كل ألوان الفكر، فيقول: «إنَّ الماركسيَّة ـ كما يعرفها المبتدئون والمتعمِّقون، وأنا واحدٌ من الَّذين درسوها، وعاشوا تجربتها النظريَّة والعمليَّة قبل ما يقرب من نصف قرن ـ هي فلسفة مادِّيَّة»[١].

وإذا كان يحقُّ للماركسيِّين أنْ يتبنَّوا المنهاج الماركسي في تحليل الإسلام، فإنَّ هذا الموقف المادي في النظر إلى الدين، لا يمكن أنْ يكون متسقًا مع انتماء صاحبه إلى دين الإسلام.

والدكتور نصر لم يكتف بتحليل الآفاق المعرفيَّة وفق المادِّيَّة الماركسيَّة، حتَّى فسَّر وأوَّل ثوابت الدين وأمهات الاعتقاد في الإسلام، من القرآن، إلى النبوَّة والوحي، إلى العقيدة، إلى الشريعة.. إلى غير ذلك، ممَّا أنتج خبطًا فكريًّا، وجرأة لا سابق لها.

والعجب أنَّ كثيرًا من أنصار الماركسيَّة في مصر ـ ومنهم نصر أبو زيد ـ مع سقوط الاتحاد السوفييتي، الَّذي يمثل رحم هذه النظريَّة، ظلوا مخلصين لهذا الفكر، مدافعين عنه في وجه الخطاب الديني، ويرون أنَّ الماركسيَّة لم تسقط، وإنَّما سقطت دولة عبادة النصوص، واحتكار حق تأويلها[٢]؛ لتصدق عليهم المقولة: إنَّهم ملكيون أكثر من الملك!

٢ ـ الرؤية الماركسيَّة المادِّيَّة للقرآن الكريم:

تواترت آيات الكتاب العزيز؛ لتفصح أنَّ القرآن الكريم نزل من عند الله تعالى إلى العالم البشري، كما قال سبحانه:

---

(١) التفسير الماركسي للإسلام صـ ٣٤.

(٢) إهدار السياق في تأويلات الخطاب الديني، مجلة القاهرة، يناير ١٩٩٣م.

QaradawiBooks.com

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [البقرة: ١٧٦]، وقال: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤]، وقال: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ ﴾ [الزمر: ٢٣]، إلى غير ذلك من الآيات.

يقول الدكتور عمارة: «وكما لا يختلف العقلاء على أنَّ المطر الَّذي ينزل من السماء إلى الأرض قد كان له وجود مفارق للأرض قبل أنْ ينزل عليها، فإنَّ أحدًا من المسلمين ـ على اختلاف مذاهبهم وأقطارهم وعصورهم ـ لم يختلف على أنَّ القرآن الَّذي نزل به جبريل من عند الله على رسوله، كان له وجود مفارق للواقع الَّذي نزل فيه، قبل الإيحاء به إلى النبيِّ ﷺ»[(١)].

غير أنَّ الدكتور نصر ـ مُمَثِّل الماركسيَّة في مصر ـ يُباهي بانفراده بمخالفة ما تواترت به الآيات المُحْكَمات وأجمعت عليه الأُمَّة، وعُرِفَ من الدِّين بالضرورة، ولم يختلف فيه أحدٌ من أهل ملة الإسلام، إذ يقول عن القرآن الكريم: «إنَّ الواقع هو الأصل، من الواقع تكوَّن النصُّ [القرآن] ومن لُغته وثقافته صِيغت مفاهيمه، ومن خلال حركته بفاعليَّة البشر تتجدَّد دلالته. فالواقع أوَّلًا، والواقع ثانيًا، والواقع أخيرًا»[(٢)].

ويقول: «والفكر الرجعي في تيار الثقافة العربيَّة الإسلاميَّة، هو الَّذي يحول النص [القرآن] إلى شيء له قداسته، بالقول: إنَّه نصٌّ خاصٌّ، وخصوصيته نابعة من قداسته وألوهيَّة مصدره... بينما حقيقة النص وجوهره أنَّه منتج ثقافي تشكل في الواقع والثقافة، خلال فترة تزيد على العشرين عامًا»[(٣)].

(١) التفسير الماركسي للإسلام صـ ٤٣.

(٢) نقد الخطاب الديني صـ ٩٩.

(٣) مفهوم النص صـ ١٢، ٢١، ٢٧، القاهرة، ١٩٩٠م.

QaradawiBooks.com

ويرى الدكتور نصر القرآن الكريم نصًّا ملفقًا من النصوص الدينيَّة والسلوكيات السابقة له[١].

ويرى كذلك أنَّ ثقافة الواقع الجاهلي أسهمت في تشكيل وتكوين القرآن[٢]. ويرى النص القرآني مقتبسًا وملفقًا من الكتب السماويَّة السابقة[٣].

ويرى أوجه الشبه بين الشعر الجاهلي والقرآن الكريم في تركيب النص[٤].

ويرى الدكتور نصر أنَّ هوية النص القرآني هي المعنى دون اللفظ العربي، وأنَّ اعتبار العربيَّة جزءًا مهمًّا في بنية النص من العصبية العربيَّة[٥].

ويذهب إلى التشكيك في عالمية الخطاب القرآني بزعمه أنَّ المخاطبين به هم العرب الَّذين ينتمون إلى نفس النظام اللغوي[٦].

وبعد أن دحض الدكتور عمارة هذه الشبهات، وعارضها بالنقل المتواتر من آيات القرآن الكريم، لخص حقيقة النظرة الماركسيَّة للقرآن الكريم، تلك النظرة الَّتي تحاول طمس قدسية القرآن الكريم، وجعله نصًّا كالنصوص البشرية، يخضع للنقد والنقض، والحذف والتبديل.. هكذا وصولًا إلى نظريتهم المادِّيَّة الملحدة الَّتي لا تعترف إلَّا بعالم الشهادة، وإن شئت فقل: «الواقع أولًا، والواقع ثانيًا، والواقع أخيرًا»[٧].

---

(١) إهدار السياق في تأويلات الخطاب الديني، مجلة القاهرة، يناير ١٩٩٣م.

(٢) المصدر السابق.

(٣) السابق.

(٤) السابق.

(٥) الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجيا الوسطية صـ ٢٠، القاهرة، ١٩٩٢م.

(٦) مفهوم النص صـ ٦٤.

(٧) نقد الخطاب الديني صـ ٩٩.

QaradawiBooks.com

يقول الدكتور عمارة:

«**فالمسلمون يؤمنون** بأنَّ القرآن نزل من عند الله، ومن ثمَّ فلقد كان له وجود عند الله قبل التنزيل. **أمَّا الدكتور نصر، فيقول:** إنَّ القرآن نصٌّ شكَّله الواقع وكوَّنه، ولم يكن له وجود مفارق للواقع ـ الاقتصادي والاجتماعي ـ قبل هذا التشكيل والتكوين.

والمسلمون يؤمنون بأنَّ القرآن مصدره الله، وله قداسة مصدره الإلٰهي.. **والدكتور نصر يرى** في هذا الاعتقاد «كلامًا يقال»، والأخذ به والإيمان بمقتضاه يطمسان الحقيقة، ويعكران إمكانية الفهم العلمي لظاهرة النص.

والمسلمون يؤمنون بأنَّ القرآن هو الوحي الخاتم الَّذي حفظه الله من التحريف؛ **والدكتور نصر يراه** مجموعة من النصوص المأخوذة من الكتب الدينيَّة السابقة، فهو قد انتقى أجزاءً أعاد توظيفها وتأويلها، ورفض أجزاءً صنفها في خانة الانحراف والضلال.

والمسلمون يؤمنون بأنَّ القرآن ليس شعرًا، ولا هو ممَّا يشبه في نظمه الشعر. **والدكتور نصر** يقيم أوجه الشبه بينه وبين الشعر الجاهلي، وبخاصة المعلقات، وشعر الصعاليك.

والمسلمون يؤمنون بأنَّ عروبة القرآن وعربيته تنزيل ووحي وجعل إلٰهي. **والدكتور نصر يشكِّك** في ذلك، ويرى أنَّ العربيَّة ليست من بنية القرآن وجوهره وهويته، وإنَّما هي من «أيديولوجيا العصبيَّة العربيَّة» إلخ، إلخ»[1].

(١) التفسير الماركسي للإسلام صـ ٥٣، ٥٤.

QaradawiBooks.com

٣ ـ التفسير المادي للنبوَة والعقيدة والشريعة:

كشف الدكتور عمارة النظرة الماركسيَّة للقرآن الكريم، ثمَّ أتبع ذلك بنظرتهم لبقية ثوابت الإسلام، وأظهر ما يعتقدونه.

فالنبوة عند الماركسيين، «ليست إعجازًا مفارقًا لقوانين المادة والطبيعة والواقع، وإنَّما هي درجة قوية من درجات الخيال الناشئ عن (فاعلية المخيلة الإنسانيَّة) يتصل بها النبي بالملك، كما يتصل بها الشاعر بشيطانه، وكما يتَّصل الكاهن بالجانِّ»[١].

والعقيدة عندهم «مؤسَّسة على كثير من التصورات الأسطوريَّة، في ثقافة الجماعة البشريَّة، ومن ثَمَّ مرتبطة بمستوى الوعي لدى الجماعة، متطوِّرة بتطوُّر هذا الوعي»[٢].

ويقولون عن الشريعة أنَّها: «صاغت نفسها مع حركة الواقع الإسلامي في تطوُّره»[٣].

يقول الدكتور عمارة: «تلك هي اجتهادات الدكتور نصر أبو زيد.. فالقرآن نصٌّ شكَّله الواقع! والنبوة والوحي نتاج الواقع! والعقيدة مؤسسة على التصورات الأسطورية في الوعي الثقافي للجماعة!! والشريعة صاغت نفسها مع حركة الواقع في تطوره! فلا شيء وراء الواقع يفارق قوانينه، ولا ثبات ولا قدسية لمعتقد من هذه المعتقدات»[٤]!

---

(١) التفسير الماركسي للإسلام صـ ٥٥، ومفهوم النص صـ ٣٨، ٥٦، ٥٩.

(٢) التفسير الماركسي للإسلام صـ ٥٨، ٥٩، وإهدار السياق في تأويلات الخطاب الديني، مجلة القاهرة، يناير ١٩٩٣م.

(٣) التفسير الماركسي للإسلام صـ ٥٩، مفهوم النص صـ ١٧.

(٤) التفسير الماركسي للإسلام صـ ٥٩.

QaradawiBooks.com

٤ ـ تاريخيَّة معاني وأحكام القرآن:

من أخطر المعاول الَّتي يحاول أنصار الماركسيَّة النيل بها من قدسية القرآن الكريم: القول بتاريخيَّة النصوص الدينيَّة، بما ينفي عن معانيه ودلالته الأصلية أي ثبات أو استمرارية أو خلود، فيقول نصر أبو زيد: «إنَّ القرآن خطاب تاريخي، لا يتضمَّن معنًى مفارقًا جوهريًّا ثابتًا[١]... وليس ثمَّة عناصر جوهرية ثابتة في النصوص، بل لكل قراءة ـ بالمعنى التاريخي الاجتماعي ـ جوهرها الَّذي تكشفه في النص»[٢].

ويرى الدكتور عمارة ذلك ضربًا من العبث، ومحاولة بائسة لتجريد القرآن الكريم من قدسيته، ويجمع إلى ذلك القول قولًا آخر تبنَّاه الدكتور نصر يقتضي خلو كلِّ قراءة لأي نصٍّ من أثر من آثار معتقدات القارئ ومعارفه، فيقول: «الدكتور نصر يقول: إنَّه لا بدَّ من التسليم مع «لوي ألتوسير» بأنَّه «لا توجد ثمَّة قراءة بريئة»[٣] فأيَّة غاية من العبث والعبثيَّة تفضي إليها هذه الدعوة، الَّتي تجعل كل قراءة غير بريئة! ولكل قراءة غير بريئة جوهرها الَّتي تكشف عنه في النص القرآني؟! وهل يبقى مع ذلك وبعد ذلك شيء من الذكر الَّذي تعهَّد الله بحفظه؟!»[٤].

ويقول الدكتور نصر: «إنَّ القرآن نصٌّ دينيٌّ ثابت من حيث «منطوقه»، لكنَّه من حيث «مفهومه» يتعرَّض له العقل الإنساني، ويصبح مفهومًا يفقد صفة الثبات، ومن الضروري هنا أن نؤكد أنَّ حالة النص الخام المقدس حالة ميتافيزيقيَّة لا ندري عنها شيئًا، والنصُّ منذ لحظة نزوله

(١) إهدار السياق في تأويلات الخطاب الديني، مجلة القاهرة، يناير ١٩٩٣م.
(٢) نقد الخطاب الديني صـ ٨٣.
(٣) إشكاليات القراءة وآليات التأويل صـ ٢٢٨، بيروت، ١٩٩٢م.
(٤) التفسير الماركسي للإسلام صـ ٦٢.

QaradawiBooks.com

الأولى تحوَّل من كونه «نصًّا إلٰهيًّا» وصار فهمًا (نصًّا إنسانيًّا) لأنَّه تحوَّل من التنزيل إلى التأويل»[١].

وهكذا يريد الدكتور نصر ومن على شـاكلته أنْ يجعل التنزيل الَّذي تعهَّد الله بحفظه نصًّا بشريًّا، فهو عندهم ليس كتاب الله؛ بل كتاب البشر! والحديث عن منطوقه الثابت المقدس هو حديث عن «حالة ميتافيزيقية» لا ندري عنها شيئًا!

يقول الدكتور عمارة: «ولست أدري ـ ولعلَّ الدكتور نصر وحده دون الناس جميعًا هو الَّذي يدري ـ لماذا يصبح القرآن منذ لحظة تفاعله مع العقل البشري وظهور معانيه، متلبسـةً في الألفاظ العربيَّة «نصًّا إنسانيًّا» لا إلٰهيًّا؟!

وهل قياسًا على هذا «المنطق» الَّذي اخترعه الدكتور نصر لا تصبح قصيدة الشـعر عند إنشـادنا لها، وبعد نظمها في لغتنا العربيَّة منسـوبة للشاعر الَّذي نظمها؟!

وهل انقطعت نسـبة كتب الدكتور نصر إليه، بعـد صياغتها العربيَّة وقراءتنا لها وتفاعل عقلنا معها؟!

أم إنَّ انفصال «النص» عن قائله منـذ لحظة بروزه في اللغة والقراءة له، أمر خاص بقول الله ﷻ في القرآن الكريم؟!

إنَّه المنهج المادي، فلا الخلق خلـق الله، ولا القرآن كلام الله، وإنَّما هي الطبيعة»[٢].

(١) نقد الخطاب الديني صـ ٩٣.

(٢) التفسير الماركسي للإسلام صـ ٦٦.

QaradawiBooks.com

د. عمارة والردُّ على التأويل العبثي عند حسن حنفي:

إذا كان معنى التأويل عند اللغويين: «هو نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل، لولاه ما ترك ظاهر اللفظ» كما قال ابن منظور[١].

أو كما في كتب التعريفات: «صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله، إذا كان المحتمل الَّذي يراه موافقًا للكتاب والسُّنَّة» كما قال الشريف الجُرْجاني[٢].

أو هو عند الفلاسفة: «إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقيَّة إلى الدلالة المجازية، من غير أن يُخِلَّ ذلك بعادة لسان العرب في التجوُّز»، كما قال ابن رشد[٣].

فإنَّ الأُمَّة قد ابتليت بمن يستخدم هذا المصطلح استخدامًا مغرقًا في الغلو، ومن هؤلاء:

الباطنية الغنوصية، الَّتي تحوِّل النصوص المقدسة إلى مجرد رموز وإشارات لحقائق خفية وأسرار مكنونة، لا علاقة بينها وبين ظواهر النصوص. وعامة الناس هم الَّذين يقنعون بهذه الظواهر (القشور) ولا ينفذون إلى هذه المعاني الباطنية الخفية[٤]!

الهيرمينوطيقا العِلمانيَّة الوضعية:

قال دعاة الهيرمينوطيقا: إنَّها تعنى بفن الفهم، أو فن تناول النصوص المقدسة، ثمَّ تعَّدى ذلك إلى النصوص البشرية ذات المضمون الطبيعي

(١) لسان العرب مادة (أ. و. ل).

(٢) التعريفات للجرجاني رقم (٣١٣)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

(٣) فصل المقال لابن رشد صـ ٣٢، دراسة وتحقيق محمد عمارة، نشر دار المعارف، ط٢.

(٤) مذاهب الإسلاميين للدكتور عبد الرحمن بدوي (٧/٢ ـ ١٠)، نشر دار العلم للملايين، بيروت، ط١، سنة ١٩٧٣م.

QaradawiBooks.com

اليومي.. حتَّى أصبحت تخضع كل شـــيء للتأويـــل، وتعتبر التأويل هو الأصل في الكلام، وبذلك تكـــون الهيرمينوطيقا نمطًا من أنماط القراءة والتأويل للنصوص والتراث الفكري.

وتنتهي القـــراءة فـــي الهيرمينوطيقا إلى أنْ تصبـــح مفهومًا يمثل تصورًا أو فهمًا معينًا للعالم والإنســـان والتراث، ويعكس فكر القارئ ومنهج تعامله مع النص، وتغدو القراءة بذلك عمليَّة تأويلية وتفسيرية للوجود والكون.

ومن أنصار هذه المدرســـة: الدكتور حسن حنفي، الَّذي حصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة السوربون، وقد رأس قسم الفلسفة في جامعة القاهرة، وهو كذلك نائب رئيس الجمعية الفلسفية العربيَّة.

ويعتبر حسن حنفي نفســـه من أتباع اليسار الإسلامي، وقد أعلن في بعض برامجه أنَّه انتمى لجماعة الإخوان المسلمين فترة من حياته، وهو يدَّعي أنَّه يقـــود حركة النقد الذاتي للحركة الإســـلاميَّة، وأنَّه يقود التيار المعارض والمصحِّح داخل هذه الحركة!

أو هكذا أراد أنْ يسوِّق لماركسيَّته بين المسلمين، وأنْ يكسو بضاعته المزجاة ثوب التصحيح والتنوير.

لكن الدكتور عمارة وقف مبيِّنًا زيف هذا الادعاء، كاشفًا سوءة ذلك الفكر العبثي، وكيف أنَّ الهيرمينوطيقا المعاصرة الَّتي تبنَّاها حسن حنفي جاءت لتكشف عن وجهها القبيح للغلو العبثي في التأويل.. ذلك التأويل الَّذي أراد تأليه الإنسان، وأنسنة الله، والدين، والوحي، والنبوة، والغيب، والحضارة.. وإعلان موت الإلٰه.

QaradawiBooks.com

وينقل عمارة عن حسن حنفي هذه العبارات: «إنَّ لفظة: الله نعبِّر بها عن صرخات الألم، وصيحات الفرح، أي أنَّه تعبير أدبي أكثر منه وصفًا لواقع... فالإنسان يخلق جزءًا من ذاته ويؤلهه، فالذات الإلٰهيَّة هي الذات الإنسانيَّة في أكمل صورها، وأي دليل يكشف عن إثبات وجود الله، إنَّما يكشف عن وعي مزيف، وتصور الله على أنَّه موجود كامل، هو في الحقيقة تعبير عن رغبة وتحقيق لمطلب، وليس حكمًا على وجود في الخارج»[١].

ويقول في موضع آخر: «إنَّ ما تصوره القدماء على أنَّه من وحي الله، أعيد اكتشافه على أنَّه من وضع الإنسان، وقد أدَّى ذلك إلى تغيير مفهوم الوحي والنبوة... إنَّ العقيدة لم تخرج من النص، بل إنَّ النصَّ قد خرج من العقيدة.. آمن الناس أولًا، ثمَّ دوَّنوا إيمانهم بعد ذلك في نصوص اعتبرت مصدر الإيمان ومنشأه. إنَّ حقل الغيبيات هو حقل ظنِّي، لا يمكن إقامة البرهان عليه، ولا يمكن التصديق به، ولا يمكن بلوغ القطع فيه»[٢].

يقول الدكتور عمارة: «وهذا التأويل الهيرمينوطيقي الغربي، وإن كان قد شارك التأويل الباطني الغنوصي، في التحلل من جميع الضوابط وقوانين التأويل، إلَّا إنَّه قد اتجه ـ في الجموح والاجتياح ـ في الناحية المضادَّة للتأويل الباطني.. فالتأويل الباطني يزعم أنَّه ينتقل بالنص من «جسده» إلى «رُوحه»، بينما التأويل الغربي الوضعي ينتقل

(١) من العقيدة إلى الثورة لحسن حنفي (٣٩/٢ ـ ٤٦)، (٨٨/١ ـ ٨٩)، نشر مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، سنة ١٩٨٨م.

(٢) قضايا إسلامية معاصرة لحسن حنفي، العدد (١٩)، صـ ٩٠، ٩٤، ٩٥، ١٠٠، ١٠٣، ١٠٥، ٢١٨، ٢١٩.

QaradawiBooks.com

بالنص من «رُوحه» إلى «جسده». وبعبارة أخرى، فهو ينتقل بالدِّين من «الإلٰهيَّة» إلى «الطبيعة»، ومن «الميتافيزيقا» إلى «الفيزيقا»، ومن «الوحي» إلى «العقل»»[١].

ومؤدَّى ذلك الخطاب في ذلك التأويل العبثي هو «إلغاء عقائد التوحيد والبعث والجزاء، حتَّى ولو كانت مجرد فكر إنساني!

بل إنَّ المطلوب ـ في هذا التأويل العبثي ـ هو إلغاء الخطاب الديني بأكمله»[٢].

وهكذا كان الدكتور عمارة حارسًا يقظًا، في وجه دعاة الماركسيَّة، كاشفًا خفيَّ ادعاءاتهم الخفية، مفنِّدًا شبهاتهم الخبيثة، داحضًا مزاعمهم الزائفة، متسلحًا بسلاح العلم، متحصنًا بدروع المعرفة.

والدكتور عمارة عندما يناقش الماركسيَّة يناقشهم مناقشة عالمٍ بأصول دينه، خبيرٍ بأفكار القوم ومعتقداتهم، مع نزاهة علميَّة تأبى أنْ يتقول على خصومه غير ما قالوا، أو ينتزع نصًّا ليضعه في غير سياقه.

وكما عهدنا الدكتور عمارة مناقشًا ومناظرًا، يتحلَّى بأدب جم، ولسان عف، قوته في حجته وبيانه، وليست في احمرار وجهه وارتفاع صوته، أو قسوة كلامه ضدَّ خصمه.

* * *

(١) مقالات الغلو الديني صـ ٧٨.

(٢) السابق صـ ٨٤.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٦

في مواجهة الغلو الديني

لقد شهر محمَّد عمارة سيفه من قديم ضدَّ الغلو والغلاة، وليس له سيفٌ إلَّا قلمه.

كان من الطبيعي أنْ يقاوم الغلوَّ العِلماني اللاديني، فهذا من صميم رسالته، ولكنَّه أيضًا وقف في وجه الغلو الديني (الإسلامي)، ولم يتساهل معه، أو يغضَّ الطرف عن آفاته، مثله مثل شيخه وشيخنا الإمام محمَّد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ، الَّذي خصَّص سنيه الأخيرة لمطاردة هذا الغلو والشطط الَّذي بغَّض دين الله إلى عباد الله.

والحقيقة أنَّ محمَّد عمارة وقف ضدَّ جميع الغلاة من كلِّ نوع: غلاة المنصِّرين، وغلاة المتغرِّبين، وغلاة الماركسيين، وغلاة الأقباط، وغلاة الشيعة، وغلاة المتأوِّلين، وغلاة العِلمانيِّين، وغلاة القوميين. فلا غرو أنْ يواجه الثلاث من أهل دين الإسلام أنفسهم.

ولم لا يفعل، والقرآن الكريم نفسه يحذِّر من الغلو في الدين، فيقول: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٧٧]، ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١].

QaradawiBooks.com

ويقول الرسول ﷺ: «**إياكم والغلوَّ في الدين، فإنَّما هلك من كان قبلكم بالغلوِّ في الدين**»(١).

ويقول: «**هلك المُتَنَطِّعون، هلك المُتَنَطِّعون، هلك المُتَنَطِّعون**»(٢).

ولا غرو فهو يؤمن بوسطيَّة الإسلام، ووسطيَّة منهجه، ووسطيَّة حضارته، ووسطيَّة أمته. ويرفض الغلوَّ والتطرُّف أيًّا كان ممثِّله، وأيًّا كان موقعه.

حارب الدكتور عمارة الغلوَّ، وهو يدعو إلى الوسطيَّة، تلك الوسطيَّة الَّتي تأبى الإفراط أو التفريط، الوسطيَّة الَّتي توازن بين العقل والنقل، ولا تجعل أحدهما نقيضًا للآخر. كما تحقق الوسطيَّة الجامعة في كل المجالات الثنائية الَّتي يلتقي الإسلام فيها بغيره من المعاني، كالالتقاء بين الدين والدنيا، وبين الروحية والمادِّيَّة، وبين الفردية والجماعية، وبين القوميَّة والعالمية، وغيرها من المعاني الكبرى.

لقد كان الدكتور عمارة إذنْ يدعو إلى العقلانيَّة المؤمنة الَّتي يقف فيها العقل والنقل في خندق واحد، يُؤدِّيان رسالة واحدة.

وما أصدق ما قاله الغزالي: «إنَّ أهلَ السُّنَّة قد اطَّلعوا على طريق الجمع بين مقتضيات الشرائع وموجبات العقول، وتحقَّقوا أن لا معاندة بين الشرع المنقول والحق المعقول»(٣)! وجعل العقل كالبصر السليم، والشرع كضياء الشمس المنير، فلا غنى لأحدهما عن الآخر في تحصيل الرؤية الصحيحة.

---

(١) رواه أحمد (١٨٥١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والنسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، وابن خزيمة (٢٨٦٧)، ثلاثتهم في المناسك، عن ابن عباس.

(٢) رواه مسلم في العلم (٢٦٧٠)، وأحمد (٣٦٥٥)، عن ابن مسعود.

(٣) الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي صـ ٩، نشر دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.

QaradawiBooks.com

وهذا ما أكَّده شيخ الإسلام ابن تيمية بأنَّ «العقل الصريح لا يُخالف النقل الصحيح»[١].

تلك الوسطيَّة الإسلاميَّة الجامعة ـ في توازن واعتدال ـ بين الدِّين والدنيا، بين تزكية النفس والاستمتاع بما أحلَّه الله لعباده من الطيبات، بين العبادات والمعاملات، الَّتي يُمَثِّلها قولُ النبيِّ ﷺ: «**أعطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه**»[٢].

مناقشة حول الغلوِّ الديني:

لقد ناقش الدكتور عمارة الدعاة الكبار الَّذين مثَّلوا الغلوَّ في بعض أفكارهم ومواقفهم واختياراتهم، برغم ما يكنُّ لهم من إكبار وتقدير وحبٍّ، ولكنَّ الله تعالى علَّمنا أن نكون قوَّامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسنا أو والدينا والأقربين، وألَّا يجرمنا شنآن قومٍ على ألَّا نعدل.

ناقش د. عمارة الداعيين والمفكِّرين الإسلاميِّين الكبيرين ـ اللذين قدَّما لدينهما ولأمتهما الكثير: أبا الأعلى المودودي وسيِّد قطب رحمهما الله ـ فيما أخذه جمهور علماء الأُمَّة عليهما حول «الحاكميَّة» و«الجاهليَّة» و«التكفير».

ولم تمنعه منزلتهما الفكرية والدعوية والجهادية أن يردَّ عليهما فيما يرى أنَّهما تجاوزا فيه منهج الأمة الوسط، وطغوا في الميزان أو أخسرا فيه.

وهو يرى عدم الاكتفاء إزاء مقالات الغلو عند مجرد الردِّ أو الرفض والإدانة؛ لأنَّ هذه المقولات قد أثمرت ممارسات، كلَّفت

(١) مجموع الفتاوى (٦٦٥/٧)، تحقيق عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم، نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبويَّة، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

(٢) رواه البخاري في الصوم (١٩٦٨)، عن أبي جحيفة.

QaradawiBooks.com

المجتمعات الإسلاميَّة الكثير من الخسائر والمآسي والأزمات؛ فلا بدَّ من التعامل مع هذه المقولات بالمنهج العلمي والموضوعي، في حوار جاد يهدف إلى الإقناع؛ بل الإفحام، على أنْ يهتم هذا الحوار بالنصوص ـ الَّتي يهتم بها أصحاب هذه المقالات ـ مع الوعي بمقاصد ومرامي وفقه هذه النصوص.

ويرى الحوار مع هذه المجازفات الفكرية فريضة وضرورة إسلاميَّة، وليس مجرد فضيلة أو ترف فكري[١].

أ ـ الحاكميَّة:

يرى الدكتور عمارة أنَّ هذا المصطلح قد توارى عن أدبيات الفكر الإسلامي مع طيِّ التاريخ الإسلامي لصفحة الخوارج، حتَّى بعثه من مرقده العلَّامة أبو الأعلى المودودي.

والمراد بهذا المصطلح، عند المودودي: «أن يكون الله هو الحاكم وحده بذاته وأصله، وأنَّ حكم سواه موهوب وممنوح، وأنَّ الإنسان لا حظَّ له من الحاكميَّة إطلاقًا»[٢].

ومن بحث في كتابات المودودي القديمة، يجده ثائرًا على الديمقراطيَّة، لا يلوي عليها، ولا يعتد بها؛ بل يراها تعارض العقيدة وتناقضها، وتحارب الدين في أصوله وفروعه، وهي والإسلام ضدَّان لا يجتمعان.

(١) مقالات الغلو الديني صـ ٣٠ ـ ٣٩.

(٢) الحكومة الإسلامية للمودودي صـ ١١٩، ترجمة أحمد إدريس، نشر دار المختار الإسلامي، ط ٢.

QaradawiBooks.com

غير أنَّ الإلمام بتراث المودودي في مراحله المختلفة، يعطى الرؤية الكاملة والصورة الصحيحة لفكر الرجل. أما الاقتصار على بعض ما كتب واختزال فكره السياسي عند هذا الحد، فإنَّ فيه ما فيه من مجافاة الحقيقة، وطمس معالمها.

وقد بيَّنَّا فيما كتبناه من معاني الحاكميَّة: إنَّ المعنى نفسه ليس مرفوضًا إسلاميًّا، فإنَّ الله هو وحده الحاكم الحقيقي للبشر الَّذي يشرع لهم، ويحلُّ لهم، ويحرِّم عليهم، وهذا كما ذكره الإمام الغزالي وغيره من علماء أصول الفقه، وما اتفق عليه أهل السُّنَّة جميعًا، بل هو ما قرَّره المعتزلة أنفسهم، كما ذكر ذلك العلَّامة ابن عبد الشكور في شرحه لـ «مسلَّم الثبوت» من كتب الأصوليين.

والدكتور عمارة عندما يتحدَّث عن الغلو في هذا المصطلح، يشير إلى بعض الحقائق:

منها: أنَّ كتابات المودودي عن الحاكميَّة ظهرت قبل تقسيم شبه القارة الهندية، وظهور باكستان دولة مسلمة مستقلة، ويومها كان المسلمون أقلية عددية في الهند، فكانت ثمار الديمقراطيَّة آنذاك ستأتي بحاكميَّة بشرية هندوكية، تعمل على قهر الهوية الإسلاميَّة وطمس معالمها.

بينما اختلفت كتاباته عن الحاكميَّة بعد ذلك الوقت، عندما صارت باكستان دولة مستقلة، حتَّى إنَّه رشح نفسه في الانتخابات، وفق قواعد الأغلبيَّة والنظام النيابي، وتحدَّث عن الديمقراطيَّة الإسلاميَّة، وأنَّه ليس هناك عاقل يعارض هذه الديموقراطية، حتَّى قال: «فالأُمَّة نائبة عن الله، وهي تنتخب حاكمها ونوابها بطريقة

QaradawiBooks.com

ديموقراطية، الأمر الَّذي يجعل الخلافة الإسلاميَّة ديموقراطية متقيِّدة بقانون الله ﷻ»[١].

ومنها: أنَّ الَّذين استعاروا هذا المصطلح لم يفطنوا إلى أثر البيئة الهندوكية الَّتي كان المسلمون يمثِّلون «ربع» سكانها، وأرادوا تطبيق ذلك على بلدان، تبلغ نسبة المسلمين فيهم (٩٥٪).

ومنها: أنَّ الغلاة الَّذين اقتبسوا لفظ الحاكميَّة من فكر المودودي لم يستقرئوا استخدام المودودي له، واكتفوا بالعبارات النافية لأية حاكميَّة بشرية، مغفلين صياغاته الفكرية الأخرى، ممَّا يعدُّ اجتزاءً للنصوص، ونظرًا إلى الحقيقة بعين واحدة.

ب ـ الجاهليَّة:

وإذا كان الدكتور عمارة قد دافع عن فكر المودودي في الحديث عن الحاكميَّة، وجعل المقتبسين لهذا المصطلح، والمتفردين بتطبيقاته في بلاد الإسلام قد جانبهم الصواب في تبنِّي ذلك، ونسبته إلى المودودي بإطلاق، فإنَّه قد واجهه في نقد موضوعي، وشجاعة في التصويب، عند الحديث عن مصطلح «الجاهليَّة».

فالمودودي يرى أنَّ بداية حكم بني أُمَيَّة إلى الآن يقوم الحكم فيها على قواعد الجاهليَّة بدلًا من قواعد الإسلام، وأنَّ حكومات هذه الحقبة الزمنية الممتدة فرضت فلسفات اليونان والرومان والعجم بين المسلمين، وأشاعت بقوة الحكم والمال ضلالات الجاهليَّة الأولى وأباطيلها.

(١) الحكومة الإسلامية للمودودي صـ ٨٤.

QaradawiBooks.com

ثم يخلص المودودي إلـى أنَّ «الحضارة الَّتـي ازدهرت في قرطبة وبغداد ودلهي والقاهرة لا دخل للإسـلام فيها ولا صلة، وتاريخها ليس إسلاميًّا، بل الأجدر أنْ يكتب في سجل الجرائم بمداد أسود»[١]!

ويسير الشهيد سيِّد قطب على الدرب ذاته، وإن اتسعت دعواه، حين يرى الإسلام يرفض الاعتراف بإسلاميَّة هذه المجتمعات[٢].

ويرى أنَّنا اليوم «فـي جاهليَّة كالجاهليَّة الَّتي عاصرها الإسـلام أو أظلـم، كل ما حولنا جاهليَّـة، تصـورات الناس وعقائدهـم، عاداتهم وتقاليدهم، شرائعهم وقوانينهم»[٣].

ويبلغ به المدى عندما يعلـن انقطاع الأُمَّة الإسـلاميَّة عن الوجود منذ قرون؛ بل «إنَّ الناس ليسـوا مسـلمين ـ كمـا يدَّعون ـ هـم يحيون حياة الجاهليَّة... ليس هذا إسلامًا، وليس هؤلاء مسلمين، والدعوة اليوم إنَّما تقوم لترد هؤلاء الجاهليين إلى الإسلام، ولتجعل منهم مسلمين من جديد»[٤].

هكذا صاغ المودودي وسيِّد قطب آراءهما في الجاهليَّة، تلك الآراء الَّتي جنحت إلى الغلوِّ والشطط، حتَّى أخرجا المجتمع بأسره من دائرة الإسلام، وجعلوه غارقًا في ظلمات الجاهليَّة، وجعلا ما كدر صفو معين الإسلام الصافي ـ من شوائب ـ ذريعة لتبنِّي هذه الأفكار.

ولكن هل وجود هذه المخالفات ـ وإن كثرت ـ يمكن أنْ تسلخ هذا المجتمع من دينه، وتقتلعه من جذوره وهويته؟!

(١) الحكومة الإسلامية صـ ١٧١.

(٢) معالم في الطريق صـ ٨٥، نشر دار الشروق، ١٩٦٨م.

(٣) السابق صـ ١٧.

(٤) السابق صـ ٨، ١٧٣.

QaradawiBooks.com

هــل مجتمعاتنا الإســلاميَّة اليــوم الَّتي تمــوج بالرُّكَّع السُّــجود، المتصدقين آناء الليل وأطراف النهار، الصائمين نهارهم، القائمين ليلهم، المنهمرة دموعهم شوقًا إلى البيت العتيق: هي مجتمعات جاهليَّة؟!

هل مجتمعاتنا الإســلاميَّة اليوم الَّتي تذخر بشــباب أتقيــاء أنقياء، وفتيات طاهرات عفيفــات، يذودون عن راية الإســلام، ويحملون لواء الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة: هو مجتمع جاهلي؟!

هل مجتمعاتنا الإسلاميَّة اليوم بما تضم من مجاهدين في سبيل الله ـ جهاد اللســان، وجهاد السِّــنان، جهاد القلم والكلمة، وجهاد السيف والمدفع ـ يرجون أنْ تكون كلمة الله هي العليا: هو مجتمع جاهلي؟!

هل يمكن أنْ يقاس مجتمعنا الإسلامي القديم والمعاصر، بالجاهليَّة الَّتي لا تعرف لهــا إلٰهًا، ولا تتبع رســولًا، ولا تقدِّس قرآنًــا، ولا تقرُّ معروفًا، أو تنكر منكرًا؟!

إنَّ مجتمــع النبوَّة فــي عهد رســول الله ﷺ لم يخلُ من «شــوائب الجاهليَّة» ومع ذلك فلا يمكن لعاقل أن يصفه بأنَّه مجتمع جاهلي.

لقد تشاحن بعض المهاجرين والأنصار في عهد النبيِّ ﷺ، حتَّى قال لهم: «**ما بال دعوى الجاهليَّة؟!... دعوها فإنَّها مُنْتِنة**»[1].

وأخطــأ أبــو ذر رضي الله عنه، حتَّى قال لــه النبــي ﷺ: «**إنَّك امــرُؤٌ فيك جاهليَّة**»[2].

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٩٠٥)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٤)، عن جابر بن عبد الله.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (٣٠)، ومسلم (١٦٦١)، كلاهما في الإيمان، عن المعرور بن سويد.

QaradawiBooks.com

إنَّ الَّذين أطلقوا وصف الجاهليَّة على المجتمعات الإسلاميَّة المعاصرة: لم يميِّزوا بين وجود شوائب جاهليَّة في المجتمعات الإسلاميَّة المعاصرة وبين عموم الجاهليَّة الَّتي تعني انعدام الإسلام والتحول إلى الشرك والوثنية، يقول الدكتور عمارة: «فوجود دعوى الجاهليَّة المنتنة، وبروزها على ألسنة الصحابة، لا يعني سيادة الجاهليَّة وعمومها... ووجود شيء من الجاهليَّة في الصحابي الجليل أبي ذرٍّ، لا يعني أنَّه جاهلي بحالٍ من الأحوال»[١].

وبعد حوارٍ طويلٍ مع أصحاب هذا الرأي، يختم الدكتور عمارة مناقشته لهم قائلًا: «هل من الموضوعيَّة والدقَّة أن نحكم «بالجاهليَّة» على قرون ارتفعت فيها صروح علوم القرآن في التفسير والقراءات وأسباب النزول؟ وتدوين السُّنَّة النبويَّة وبلورة علومها في الرواية والدراية؟ ومصطلح الحديث والجرح والتعديل؟ والاجتهاد في أصول الدين؟ وتبلور علم التوحيد، وفي الفروع تبلور المذاهب الفقهية الكبرى؟ وفي علم أصول الفقه؟ الَّذي هو من مفاخر الحضارة الإسلاميَّة؟ وذلك فضلًا عن اللغة وعلومها؟ والإنسانيَّات؟ والآداب والفنون؟ إلخ.

إنَّ حضارة أبدعت هذا الإبداع الَّذي امتاز بروح التوحيد الإسلامي ـ وهو النقيض الرئيسي للجاهليَّة ـ ليس من الدقة، ولا من الموضوعية في شيء إعدامها بإصدار «حكم الجاهليَّة» عليها.

وإنَّ دولًا ـ مهما كانت مظالمها ـ دافعت عن هذه الحضارة المؤمنة وصدت عنها عاديات التتار والصليبيِّين ودمارهم، ليس من الدقَّة ولا من الموضوعيَّة أن نحكم عليها بالارتداد إلى الجاهليَّة عن الإسلام»[٢].

(١) مقالات الغلو الديني صـ ٢٣، ٢٤.

(٢) السابق صـ ٤٣، ٤٤.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٨

في مواجهة فتنة التكفير

ومن المعارك الَّتي خاضها د. محمَّد عمارة في مواجهة الغلو الديني: معركة مواجهة «فتنة التكفير» الَّتي تثيرها بعض الفئات ضدَّ من يخالفها من فئات الأمة. وهي فتنة خطيرة إذا لم تقاوم بالفكر السليم، والمنهج المستقيم، كانت خطرًا يهدِّد وحدة الأمة وتماسكها، ويجعل بعض الأمة أعداءً لبعض، عداوة مصدرها الدين، ودافعها العقيدة. وهي أشبه بالنار الموقدة، الَّتي إذا اندلعت يمكن أنْ تأكل الأخضر واليابس.

وقد رأينا جماعات «التكفير» الَّتي ظهرت في مصر، كيف استباحوا قتل علماء كبار لم يعرف عنهم في تاريخهم إلَّا الاستقامة والخير، مثل الشيخ الذهبي أستاذ التفسير وعلوم القرآن[1]، وكيف كفَّروا الناس بالجملة، فالحكام كفار؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]. والشعوب كفار؛ لأنَّهم رضوا بهؤلاء الحُكَّام، وسكتوا عليهم؛ بل صفَّقوا لهم.

(١) محمد السيد حسين الذهبي، محدث متقن وخطيب مفوه تهتز له أعواد المنابر، غيور على دينه، ومربٍّ ومعلم. وكان مفسرًا نابغًا، ولم يكن الشيخ أبو زهرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ يلقبه إلَّا بإمام المفسرين، ولد بمحافظة كفر الشيخ سنة ١٩١٥م، تلقَّى العلم على يد جلة علماء عصره، ثم صار وزيرًا للأوقاف في مصر قبل وفاته. توفي سنة ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٧م مقتولًا بيد جماعة التكفير والهجرة.

QaradawiBooks.com

والعلماء كفار؛ لأنَّهم لـــم يعلنوا كفر هؤلاء الحكام، وهذه الجماهير الَّتي رضيت به.

وكل من عمل مع هؤلاء الحكام، موظَّفًا في حكومتهم، أو جنديًّا في جيشهم، أو في شرطتهم، فهو كافر.

وكل من لم ينضمَّ إلى جماعتهم الإسلاميَّة فهو كافر.

والمرأة الَّتـــي تنضم إليهـــم تنفصل عـــن زوجها في الحـــال؛ لأنَّه لا زوجية بين مؤمنة وكافر مرتد، ويتزوجها واحد منهم.

ومن دخل منهم فـــي هذه الجماعة، ثمَّ لم يعجبـــه حالهم، وأراد أن يتركهم، فهو مرتدٌّ حلال الـــدم، يجب أنْ يقتل في الحـــال. وكم نفَّذوا ذلك، وقتلوا من قتلوا.

إلى آخر هـــذه الأباطيل الَّتي قرأناها، بل شـــهدناها فترة من الزمان. وقد ساهمت في مقاومة ذلك في عدد من كتبي، وخصوصًا في رسالتي «ظاهرة الغلو في التكفير» في منتصف السبعينيات من القرن العشرين.

وأصدر د. عمارة في ذلك كتابين:

أولهما: صيحة نذير من فتنة التكفير.

أكد فيه على أنَّ ظاهرة التكفير من الأفـــكار الهدَّامة، الَّتي تنخر في جسد الأمة؛ لتورثها ضعفًا من بعد قوَّة، وتشرذمًا من بعد وحدة، وتعمل على إضعاف تماسكها الداخلي، وتقويض بنيانها.

وقد حذَّر القرآن الكريم من خطورة الانزلاق إلى هاويـة التكفيـر، وإشـــهار هذه اللفظة ســـلاحًا في وجه المخالفيـن، فقـــال تعالـى:

QaradawiBooks.com

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾ [النساء: ٩٤].

وأرشد النبي ﷺ إلى عدم الخوض في غمار ذلك المستنقع الآسن، بإصدار أحكام التكفير الَّتي تهزُّ بنيان المجتمع وتزلزل أركانه، فعندما قتل أسامة بن زيد رضي الله عنه رجلًا قال: لا إلٰه إلَّا الله. قال له النبي ﷺ: «**أقال: لا إله إلَّا الله، وقتلته؟**». قال: قلت: يا رسول الله، إنَّما قالها خوفًا من السلاح. قال ﷺ: «**أفلا شققت عن قلبه؟!**»[(١)].

وأعلن ﷺ النكير على من أراد أن يسلك ذلك الدرب، ويسير في هذا الاتجاه؛ محذِّرًا: «**أيُّما رجلٍ قال لأخيه: يا كافر. فقد باء بها أحدهما**»[(٢)].

والحق: إنَّ هذا مذهب المُحَقِّقين الراسخين من علماء المسلمين.

فهذا حُجَّة الإسلام الغزالي يقول: «إنَّه لا يسارع إلى التكفير إلَّا الجهلة... وينبغي الاحتراز من التكفير ما وجد الإنسان إلى ذلك سبيلًا»[(٣)].

وجاء عن شيخ الإسلام ابن تيمية: «والَّذي نختاره ألَّا نُكَفِّر أحدًا من أهل القبلة»[(٤)].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٢٦٩)، ومسلم في الإيمان (٩٦)، عن أسامة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦١٠٤)، ومسلم في الإيمان (٦٠)، عن ابن عمر.

(٣) الاقتصاد في الاعتقاد صـ ١٣٥، نشر دار الكتب العلمية، تحقيق عبد الله الخليلي، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.

(٤) درء تعارض العقل مع النقل (٩٥/١)، تحقيق د. محمد رشاد سالم، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، ط٢، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

QaradawiBooks.com

وقـال: «إنِّي من أعظم النـاس نهيًا عن أنْ ينسـب معيَّن إلى تكفير وتفسيق ومعصية»[١].

ويقول الإمام محمَّد عبده: «ولقد اشـتهر بين المسلمين، وعرف من قواعد أحكام دينهم: أنَّه إذا صدر قول من قائـل يحتمل الكفر من مائة وجه، ويحتمل الإيمان من وجه واحد، حمل علـى الإيمان، ولا يجوز حمله على الكفر»[٢].

وأكَّد الدكتور محمَّد عمارة أنَّ هذا هو الإسـلام فـي نقاء مصادره، وأقوال محققي علمائه: «هكذا أعلن الإسلام ـ من خلال «البلاغ القرآني» و«البيان النبوي» للبلاغ القرآني.. ومن خلال الفكر الإسلامي ـ ضرورة صيانة الإيمان عن التفكير العبثي»[٣].

والكتاب الثاني: فتنة التكفير بين الشيعة والوهَّابيَّة والصوفيَّة.

وقد اهتم في كتابـه بإدانة نزعة التكفير، وأجـاد عندما وصف هذه النزعة بالفحش الفكري تارة، وبالألغام التكفيرية أخرى.

منبِّهًا على أنَّ في أمتنا المسلمة جماعات تتبنَّى فكرة تكفير الآخرين، غير جماعـة التكفير المعروفة، الَّتي أبرزها الإعـلام وضخَّمها لأهداف سياسية معروفة.

محذرًا من أثر هذه الأفكار على نسيج الأُمَّة، وخطورة هذه المبادئ على لحمة المجتمع، ونتائج هذه الممارسات على تماسك لبناته.

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٢٩/٣).

(٢) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده (٣٠٢/٣)، تحقيق د. محمد عمارة، نشـر مكتبة الأسرة المصرية، ٢٠٠٨م ـ ٢٠٠٩م.

(٣) صيحة نذير صـ ١٠، نشر مكتبة الإمام البخاري، ط١، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

QaradawiBooks.com

فهذه الأفكار البعيدة عن وسطيَّة الإسلام، وهذه الاتهامات الَّتي درج على إشـــهارها والتلويح بها الغلاة من كل طائفة، في وجه من يخالفهم في المنهج، أو يعترض عليهم في التطبيق، قد وجدت لها ســـوقًا نافقة، ومرعى خصيبًا لدى بعض جماعات المسلمين.

وهذه الجماعات هي:

١ ـ الصوفيَّة بجماعاتها وطرقها المختلفة وأبواقها وأسواقها.

٢ ـ الوهَّابيَّة أو السلفية السعودية، وما تفرع عنها أو وافقها.

٣ ـ الشيعة الإمامية الاثنا عشرية.

ويـــرى الدكتور عمـــارة أنَّ الإعـــلام الحديث، بما واكبـــه من ثورة الاتصـــالات، وغـــزو الفضائيـــات، والانفتاح علـــى الشـــبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت) كان له أثر كبير في إثارة الخلافات والصراعات المذهبيَّة، وجدليات التيارات الفكرية بين العامَّة، ممَّا ساهم في اشتعال نيران التعصب، وتأجيج مشاعر التباغض والتنافر[1].

وقد رصد أفكار هذه الفئات الثلاثة ونصوصها عن التكفير لغيرهم بصراحة، في بحثـــه الَّذي ألقاه فـــي الندوة الفقهيـــة الإعلاميَّة، الَّتي نظمتها «مجموعة البركة» ورئيس مجلس إدارتها صديقنا الشيخ صالح كامل في السعودية، واســـتمرت عدة سنوات تجتمع في السعودية في شـــهر رمضان، للعمل على إعداد فقه إعلامي راســـخ، مؤسس على الشـــريعة ومبادئها وأصولها، ومصادرها الموثقـــة. وقد حرصنا على المشاركة فيها باستمرار.

(١) فتنة التكفير بين الشيعة والوهابية والصوفية صـ ٨٣، ٨٤.

QaradawiBooks.com

أولًا: الغلوُّ التكفيري عند الصوفيَّة:

الطــرق الصوفيَّة هــي جماعات، عرف عــن المنتســبين إليها كثرة الأذكار، وتعدد الأوراد، والانشــغال بالحق عن الخلــق، وكثير منهم له خلوات ومجاهدات، في ســبيل تهذيب النفس، ودفعها إلى التزوُّد لدار البقاء، والزهد في دار الفناء.

وهذا ما يجعل من ينتمي إليها، يؤثر تزكية النفس، والانشغال بها عن منازعة الخلق، إن كان من الصوفيَّة العاملين، أو منشغلًا بطقوس ورسوم، متخفيًا في صــورة الزهاد ولباس الصالحين، يحتــال بذلك لينال الدنيا بثياب الآخرة، إن كان من الصوفيَّة المنتفعين.

ويرى الدكتور عمارة أنَّ «الطريقــة العزميَّة» من أكثر الطرق الصوفيَّة اســتنارة، وأبعدها عن الخرافات، وأقربها إلى التجديد، ومع ذلك.. فإنَّ كثيرًا من منابرها الإعلاميَّة لا تخلو من قذف السلفيين بأبشع الاتهامات، بما في ذلك التكفير والإخراج من الملة، وخاصَّة شــيخ الإســلام ابن تيمية، والشيخ محمَّد بن عبد الوهاب.

وقد ذكر الدكتور عمارة بعض النماذج من أقوال هذه الطائفة الَّتي تنال من الاتِّجاه الســلفي، بألفاظ غليظة، لم يكن لهــم أنْ يقولوها، وعبارات قاســية، ما كان لهم أنْ يتناقلوها، مثل «تيار إلحادي.. وباء وهابي.. لا بدَّ من اجتثاث تجربته الخبيثة.. مجسِّمة مكفِّرة.. مبتدعة خراصون».

وكذلك قولهم في شيخ الإسلام ابن تيمية: «المقتدي بأسلافه كلاب النار الحروريين، جاهل بأصول الدين، مكذِّب لنصوص كتاب الله تعالى وصحيح سنة نبيه.. استبدل عقيدة التوحيد بعقيدة التثليث»!

QaradawiBooks.com

ويرى الدكتور عمارة أنَّ هؤلاء الصوفيَّة بما يقدِّمون من فحش فكري يقدمون فتنة فكرية كبرى لعامة المسلمين، كما يقدمون مادة غزيرة وخطيرة لأعداء الإسلام، من المنصِّرين وغيرهم؛ لينالوا من الإسلام وأهله في تهجماتهم العنيفة، وحملاتهم الشرسة[١].

ثانيًا: الغلوُّ التكفيري عند الوهابيِّين:

ويرى الدكتور عمارة أنَّ التيار السلفي الوهابي لم يكن أقل حظًّا من خصومه من الصوفيَّة والشيعة في تبادل الاتهامات بالتكفير، والانخراط في هذه الفاحشة الفكرية، وفي زرع تلك الألغام التكفيرية.

فبدلًا من أن يحاور هذا التيار خصومه بالحجج والبراهين، ويجادلهم بالتي هي أحسن، جنح إلى الغلو في محاربته للغلو، فأمر بالمعروف، بغير المعروف! ونهى عن المنكر بالمنكر!

فالصوفيَّة عندهم «مشركو العصور المتأخرة، أشد كفرًا من كفار قريش.. أتباع هذه الطرق الصوفيَّة ملاحدة.. زنادقة.. قبوريون.. أمرهم واضح في الضلال.. التصوف هو الأخطبوط والسرطان الفتاك.. ردَّة جاهليَّة.. نتاج وثني».

ثالثًا: النزعة التكفيرية عند الشيعة:

والشيعة بكل مذاهبها وفرقها عند السلفية الوهَّابيَّة «مذهبهم هو مذهب الضلال... أعمالهم شركية»[٢].

(١) فتنة التكفير بين الشيعة والوهابية والصوفية صـ ٨٩ ـ ٩٣.

(٢) المصدر السابق صـ ٩٥ ـ ٩٧.

QaradawiBooks.com

يرى الدكتور عمارة أنَّ الشيعة على اختلاف فرقها لا يمثلون أكثر من (١٠٪) من عموم المسلمين، بينما يمثل المسلمون السُّنَّة (٩٠٪)، ومع ذلك فإنَّ وقوع الشيعة في مستنقع التكفير لأهل السُّنَّة قد بلغ المدى، فعموم الشيعة ـ باستثناء الزيدية ـ يكفِّرون كافة أهل السُّنَّة.

بل إنَّ تراث الشيعة في مصادرهم المعتمدة الَّتي تدرس حتَّى الآن في الحوزات العلميَّة، والَّتي تكوِّن العقل الديني الشيعي، يساعد على انتشار «فاحشة التكفير» لتشمل أصحاب النبي ﷺ، وأزواجه الطاهرات، ثمَّ جمهور الأُمَّة بأجيالها المتتابعة، منذ صدر الإسلام إلى وقتنا هذا.

فهم يرون أبا بكر وعمر صنمي قريش، وهما كافران، كافر من أحبَّهما[١].

ويحكم بعضهم على أم المؤمنين عائشة بالكفر، ويرونها ارتدت بعد موت النبي ﷺ، فهي مستحقة للنار واللعن والعذاب[٢].

وقد استحب الشيعة الإمامية ـ وبعضهم أوجب ـ لعن أبي بكر، وعمر، وعثمان، ومعاوية، وعائشة، وحفصة... لعنهم بأسمائهم عقب كل صلاة.

كما ذهب أئمتهم إلى تعميم الحكم بالشرك والكفر على من عداهم، وأنَّهم مخلدون في النار[٣].

وجعلوا من لم يؤمن بإمام من الأئمة المعصومين، كمن قال: إنَّ الله ثالث ثلاثة[٤].

وقد جعلوا إمامة الأئمة المعصومين «الاثني عشر» من أسس الدين.

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي (٣٨١/٣٠)، نشر مؤسسة الوفاء.

(٢) الأربعين في إمامة الأئمة الطاهرين، للقمي الشيرازي صـ ٦١٥، نشر مطبعة الأمير، قم، ط١، ١٤١٨هـ.

(٣) بحار الأنوار (٣٢/٢٩).

(٤) انظر: فتنة التكفير بين الشيعة والوهابية والصوفية صـ ٩٩ ـ ١١٤.

QaradawiBooks.com

علاج هذه الفتنة:

لم يقف الدكتور عمارة ـ كعادته ـ أمام هذه الظاهرة مكتفيًا بوصف الواقع المؤلم، أو متحسِّرًا على حجم المأساة الفكرية الَّتي يتمزق منها جسد الأمة، وإنَّما شرع يصف العلاج الناجع لأمته، ويقدم طوق النجاة لمجتمعه، لا يثنيه عن ذلك صعوبة المهمة، ولا يفت في عضده تشعب أطرافها.

فنجده يدعو في كتابه إلى:

١. إصدار فتوى جماعية، يشارك فيها كبار علماء الأمة ـ من المذاهب المختلفة ـ بتحريم وتجريم تكفير من يشهد أن لا إلٰه إلَّا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله.

٢. وضع خطة ـ طويلة المدى ـ لتهذيب كتب التراث في المذاهب الإسلاميَّة المختلفة، وحذف المأثورات والمقولات التكفيرية الواردة فيها؛ لاستبعاد الألغام التكفيرية من المادة العلميَّة الَّتي تقدم للأجيال الجديدة في الحوزات والجامعات والمدارس.

ويرى الدكتور عمارة أنَّ هذه المهمة وإن كانت شاقة، فليست مستحيلة، فقد سبق لعددٍ من الشيعة الاثني عشرية أنْ راجعوا وانتقدوا الروايات الَّتي امتلأ بها تراثهم، والَّتي تتحدَّث عن تحريف القرآن الكريم، وعن وجود مصحف خاص بالشيعة، وانتقدوا المؤلفات التراثية الشيعية الَّتي انطلقت منها هذه الروايات.

ثم ينتقل الدكتور عمارة في خاتمة كتابه إلى تبني الرؤية القرآنيَّة ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً﴾ [آل عمران: ١١٣]. الَّتي نزلت في أهل الكتاب، والَّتي تنطبق على كل أفراد الجنس البشري، يقول الدكتور عمارة: «فالشيعة ليسوا

QaradawiBooks.com

سواء، وأهل السُّنَّة ليسوا سواء، والصوفيَّة ليسوا سواء، والسلفيَّة ليسوا سواء»[١].

فلنعامل الجميع بالحق، ولنحكم بينهم بما أنزل الله، لا غلوَّ ولا تفريط، لا طغيان في الميزان، ولا إخسار في الميزان، كما علَّمنا الله في كتابه: ﴿أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۞ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمٰن: ٨، ٩].

* * *

(١) فتنة التكفير بين الشيعة والوهابية والصوفية صـ ١٧٧، ١٧٨.

QaradawiBooks.com

٨

فيم اختلفت مع د. عمارة؟

أنا والدكتور عمارة من مدرسة واحدة: مدرسة الإحياء الإسلامي، مدرسة الدعوة إلى الإسلام المتكامل، عقيدة وشريعة، عبادة ومعاملة، دعوة ودولة، دينًا ودنيا، مدرسة الوسطيَّة والتجديد الإسلامي.. ندعو إلى رسالة واحدة، ونؤمن بأهداف واحدة، منطلقاتنا واحدة، وهمومنا واحدة، وغاياتنا واحدة، ومناهجنا واحدة.

فلا غرو أن نتَّفق في مجمل مفاهيمنا وأطروحاتنا.

يعبِّر كلٌّ منا عمَّا يجول في فكر أخيه وضميره؛ وإن كان لكلٍّ منَّا اهتمام ببعض القضايا، وبعض الموضوعات أكثر من الآخر.

وصحيح أنَّ الدكتور عمارة قد دخلت عليه بعض المؤثِّرات الغريبة في فترة معينة من حياته، ربَّما بقي رذاذ منها في بعض كتبه القديمة. ولكنِّي أشهد أنَّه قد تخلَّص من هذه المؤثِّرات تمامًا، وأمسى إسلاميًّا محضًا، كلَّه للإسلام، قالبًا وقلبًا، ظاهرًا وباطنًا، عقلًا وضميرًا، روحًا ووجدانًا. وأرجو أن يكون ـ ونكون معه ـ ممَّن قال الله فيهم: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

لا أذكر أنِّي اختلفت مع الدكتور عمارة اختلافًا واضحًا إلَّا في مسألتين:

QaradawiBooks.com

الأولى: الاجتهاد في النصوص القطعيَّة الثبوت والدلالة:

اختلفنا فيها «تنظيرًا»، ولم نختلف فيها من حيث «النتائج».

فحين كلَّفه المعهد العالمي للفكر الإسلامي، بكتابة «معالم المنهج الإسلامي»، كان من مباحثه وهو يتحدث عن «الوسطيَّة الجامعة» الَّتي هي إحدى خصائص المنهج الإسلامي: «العلاقة بين النصِّ والاجتهاد»، انتهى فيه إلى أنَّ من حقِّنا أن نجتهد في كلِّ النصوص، ولو كانت قطعية الثبوت، قطعية الدلالة معًا، ولا حجر علينا في ذلك، رادًّا مقولة الأصوليين والفقهاء الَّذين قالوا: «لا اجتهاد مع النصِّ» أي: في مقابلته. وهم لا يريدون بالنصِّ هنا مجرَّد الدليل من القرآن والحديث؛ بل يريدون «النصَّ الأصولي»، وهو ما لا يحتمل إلَّا وجهًا واحدًا، ولا يحتمل معنى آخر. وهو النصُّ القطعي.

وهو الَّذي أدين الله به.

وأرى أنَّ عندنا في نصوص الشريعة ومصادرها دائرتين:

١ ـ **دائرة مفتوحة لكلِّ مجتهد**، يملك شروط الاجتهاد وأدواته، وهذه تشمل معظم أحكام الشريعة ونصوصها. حتَّى كثير ممَّا ادُّعي فيه الإجماع.. حتَّى بعض الإجماع الَّذي بني على نصوص، مثل الإجماع على أنَّ هناك نصابين للزكاة في النقود: أحدهما للذهب، والآخر للفضة. وهما اليوم متفاوتان جدًّا، ولا بدَّ من الاجتهاد في ذلك.

٢ ـ **دائرة مغلقة**، وهي دائرة النصوص، أو الأحكام الثابتة بالنصوص، القطعية الثبوت، القطعية الدلالة. وهذه دائرة محدودة جدًّا، ولكنَّها مهمَّة جدًّا؛ لأنَّها تمثِّل الثوابت في العقيدة والعبادة،

غير مرخصة للطباعة

والشريعة والأخلاق، وهي الَّتي تجسِّد وحدة الأمة الاعتقادية والفكرية والشعورية والعمليَّة.

وهي الَّتي نازع فيها د. عمارة، ولم يسلِّم بها، واستدلَّ بوقائع لا أختلف معه فيها، ولكن ليس فيها واقعة واحدة قائمة على نصوص قطعية الثبوت والدلالة.

وإنِّي لأرجو من أخي د. عمارة أنْ يراجع رأيه، ويعود إلى ما قرَّره علماء الأُمَّة، لا يختلفون في ذلك، حول النصوص القطعية.

والموضوع الثاني: ضبط مصطلح العِلمانيَّة بفتح العين:

وهو موضوع «لغوي»، وهو ما يتعلق بضبط مصطلح «العِلمانيَّة»، فهو يضبطها بفتح العين، نسبة إلى «العَالم»، وأنا أضبطها بكسرها، نسبة إلى «العلم».

و«العِلمانيَّة» كلمة لم تعرف في تراثنا من قبل، بل هي ترجمة لكلمة أجنبيَّة: إنجليزية أو فرنسية:

فالإنجليزية هي: (Secular).

والفرنسية: (Laïque).

وهي تعني فصل الدين عن الدولة، أو السياسة، أو الدنيا أو الحياة بصفة عامَّة. ومقابلها: الدين أو الكهنوت أو الأخروي.

وقد ترجمها إلى العربيَّة المترجمون الأوائل بلفظ «العِلمانيَّة»[1]، نسبة

(١) ليس غريبًا أنْ تكون العلمانية في المفهوم الغربي في مقابل الدين. فهذا أيضًا تراه في مفاهيم أخر، مثل «العقلانية» و«الإنسانية» وغيرها، فهم يرونها ضد الدين. وعندنا: أنَّ العلم والعقل والإنسانية ليست مضادة للدين.

QaradawiBooks.com

إلى العلم، زيدت فيها الألف والنون قبل ياء النسب، كما زيد في عقلاني وروحاني وربَّاني وشخصاني، وأمثالها.

على أســاس ما هو مفهوم عند الغربيِّين، وما هــو ثابت في أذهان المترجمين عنهم في ذلــك الوقت: أنَّ الدين في مقابــل العلم، فالدين إلٰهي، والعلم بشري. الدين أساسه الوحي، والعلم أساسه العقل. وقد قام بينهما في الغــرب نزاع طويل، وصراع امتدَّ قرونًــا، عرفت فيها محاكم التفتيش ومآثمها وضحاياها من العلماء والمفكرين. وقد انتصر فيها في النهاية العلم على الدين، على خلاف ما هو مقرَّر وراســخ في تراثنا: أنَّ الدين عندنا علم، والعلم عندنا دين.

ولكن حدث عند بعض مثقَّفينا العرب، التباس في قراءة نصِّ معجم «القاموس المحيط»، في مــادة (ع. ل. م) وهو ما ترتب عليه فتح العين في كلمــة «العِلمانيَّة» حيث قــال صاحب «القامــوس المحيط»: ومعلم الشيء كمقعد: مظنَّته، وما يســتدلُّ به كالعلَّامة كرمَّانة والعلم. والعالم: الخلق كله، أو ما حواه بطن الفلك.

فبعض الناس قرأ خطأ: (والعلم) مرفوعة، ليعطف عليها كلمة والعالم فقرأها هكذا: والعلم والعالم: الخلق كافَّــة. فاعتبر العلم بمعنى العالم. وهو غير صواب. فإنَّ العلم مظنة الشيء، وما يستدلُّ به عليه، وقد استدلَّ لذلك شارح القاموس العلامة الزبيدي في «تاج العروس» بقوله: وعليه قراءة من قــرأ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ [الزخرف: ٦١]. أي علامة دالَّة على قرب الســاعة. انتهى. وهو أيضًا ما قاله ابن منظور في «لسان العرب»: العلم: العلامة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

وإن كان ممَّا يؤسف له أنَّ كاتب مادة علم في «المعجم الوسيط» قد وقع في هذا الوهم، وقال: العلم: العالم، وقال: «العِلماني» نسبة إلى العلم بمعنى العالم، وهو خلاف الديني والكهنوتي.

والحق الَّذي لا ريب فيه، الَّذي تبيَّن لنا بكل جلاء: أنَّه لا يوجد في العربيَّة كلمة «علم» بمعنى «عالم».

ويجب على مجمع اللغة العربيَّة أن يصوِّب هذا الخطأ في الطبعات اللاحقة، وفي المعجم الكبير، أداءً للأمانة، ووفاءً بحقِّ العلم، وقد قال سلفنا: ليس في العلم كبير. وفوق كل ذي علم عليم.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

الفهارس العامة

- فهـــرس الآيات القرآنيـــة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشـــريفة.
- فهرس الموضوعات.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة البقرة		
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾	١٤٣	٥٨
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾	١٧٦	٧٤
سورة آل عمران		
﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾	١١٠	٥٨
﴿ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ﴾	١١٣	١٠١
سورة النساء		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ ﴾	٩٤	٩٥
﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ﴾	١٧١	٨٤
سورة المائدة		
﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾	٣	٧
﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ ﴾	٥	٢٢
﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾	٤٤	٩٣

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾	٧٧	٨٤
﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾	٨٢	٢٢
سورة الأنعام		
﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ﴾	١٢	٦١
﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	١٦٢	١٠، ١٠٣
سورة الإسراء		
﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾	٨١	٤، ٣٠
سورة الأنبياء		
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾	١٠٧	٥٨
سورة الحج		
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾	٨، ٩	٣١
﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾	٤١	٦١
سورة النور		
﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾	٤٠	٧، ٥١
سورة الشعراء		
﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾	١٩٣، ١٩٤	٧٤
﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾	٢٢٧	٢١
سورة لقمان		
﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾	١٤	١١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الزمر		
﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾	٢٣	٧٤
سورة الزخرف		
﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا﴾	٦١	١٠٦
سورة الرحمن		
﴿أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۞ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ﴾	٨، ٩	١٠٢
سورة الحشر		
﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾	١٠	٤، ٨
سورة الممتحنة		
﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ﴾	٨	٢٢

* * *

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الحديث	رقم الصفحة
أ	
إذا فُتِحَتْ مصر فاستوصوا بالقِبْطِ خيرًا، فإنَّ لهم دمًا ورحمًا	٢٤
أعطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه	٨٦
أقال: لا إلٰه إلَّا الله، وقتلته؟. قال: قلت: يا رسول الله، إنَّما قالها خوفًا من السلاح	٩٥
اللهَ اللهَ في قِبطِ مصر، فإنَّكم ستظهرون عليهم، ويكونون لكم عُدَّةً وأعوانًا	٢٣
أنا أغنى الشركاء عن الشِّرْك، من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركتُه وشِرْكَه	٩
إنَّك امرُؤٌ فيك جاهليَّة	٩١
إنَّكم ستفتحون أرضًا يُذْكَر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيرًا	٢٣
إياكم والغلوَّ في الدين، فإنَّما هلك من كان قبلكم بالغلوِّ في الدين	٨٥
أيُّما رجلٍ قال لأخيه: يا كافر. فقد باء بها أحدهما	٩٥
ف	
فاستوصوا بهم خيرًا، فإنَّهم قوَّة لكم، وبلاغٌ إلى عدوِّكم بإذن الله	٢٣
ل	
لا يشكر الله، من لا يشكر الناس	٥، ١٠

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
م	
ما بال دعوى الجاهليَّة؟!... دعوها فإنَّها مُنْتِنة	٩١
من أتى إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه، فادعوا له	٥، ١٠
هـ	
هلك المُتَنَطِّعون، هلك المُتَنَطِّعون، هلك المُتَنَطِّعون	٨٥

❊ ❊ ❊

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

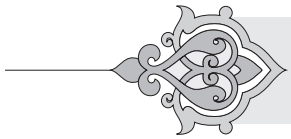

فهرس الموضوعات

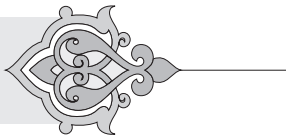

❖ **من الدستور الإلٰهي للبشرية** **٤**

❖ **من مشكاة النبوة الخاتمة** **٥**

• **مقدمة** **٧**

❖ **كلمة لا بدَّ منها** **٩**

❖ **١ ـ من هو محمَّد عمارة؟** **١٣**

مُرَشَّح الأُمَّة لا مُرَشَّح الدولة ١٤

أيَّ مجال أختار؟ ١٥

مؤهلاته أو أسلحته لخوض المعركة ١٧

❖ **٢ ـ في مواجهة التعصب الطائفي** **٢٠**

موقف الإسلام من أهل الكتاب ومن النصارى ٢٢

وصايا نبويَّة بأقباط مصر خاصَّة ٢٢

محمَّد عمارة العدوُّ الأوَّل للمتعصِّبين ٢٤

QaradawiBooks.com

❖ ٣ ـ في مواجهة الغلوِّ العِلماني ٢٩

الخطأ الجوهري للعِلمانيَّة في بلادنا ٢٩

سقوط الغُلُوِّ العِلماني ٣١

حقائق وأرقام على أرض الواقع ٣٩

الرُّوح الصليبيَّة حيَّة ومُتَوَقِّدة في مواجهة الإسلام ٤١

صورة من التحالف بين المدفع العِلماني وإنجيل المنصِّرين ٤٤

الغرب هو الَّذي يعلن الحرب على الإسلام وحضارته ٤٧

مناظرة الدوحة ٥١

❖ ٤ ـ في مواجهة الغزو التنصيري ٥٢

الاستعمار يصنع الضحايا والتنصيرُ يتلقَّفُهم ٥٥

التنصير ينشر العِلمانيَّة والفلسفات المادِّيَّة والإلحاديَّة واللاأدريَّة ٥٦

الفارق بين الدعوة إلى الإسلام والتنصير الغربي ٦٠

لماذا منعت بعض الحكومات الإسلاميَّة التنصير في بلادها؟ ٦٢

ماذا يملك دعاة التنصير؟ ٦٣

❖ ٥ ـ في مواجهة التيار الماركسي ٦٨

د. عمارة والرد على الفكر الماركسي عند نصر أبو زيد ٧١

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١ ـ حقيقة الماركسيَّة ٧١

٢ ـ الرؤية الماركسيَّة المادِّيَّة للقرآن الكريم ٧٣

٣ ـ التفسير المادي للنبوَة والعقيدة والشريعة ٧٧

٤ ـ تاريخيَّة معاني وأحكام القرآن ٧٨

د. عمارة والردُّ على التأويل العبثي عند حسن حنفي ٨٠

الهيرمينوطيقا العِلمانيَّة الوضعية ٨٠

❖٦ ـ في مواجهة الغلو الديني ٨٤

مناقشة حول الغلوِّ الديني ٨٦

أ ـ الحاكميَّة ٨٧

ب ـ الجاهليَّة ٨٩

❖٨ ـ في مواجهة فتنة التكفير ٩٣

أولًا: الغلوُّ التكفيري عند الصوفيَّة ٩٨

ثانيًا: الغلوُّ التكفيري عند الوهابيِّين ٩٩

ثالثًا: النزعة التكفيرية عند الشيعة ٩٩

علاج هذه الفتنة ١٠١

غير مرخصة للطباعة

نسخة علمية

QaradawiBooks.com

❖ ٨ ـ فيم اختلفت مع د. عمارة؟ ١٠٣

الأولى: الاجتهاد في النصوص القطعيَّة الثبوت والدلالة ١٠٤

والموضوع الثاني: ضبط مصطلح العِلمانيَّة بفتح العين ١٠٥

• **فهرس الآيات القرآنية الكريمة** ١١١

• **فهرس الأحاديث النبوية الشريفة** ١١٥

• **فهرس الموضوعات** ١١٧

❊ ❊ ❊

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com